تمام المِنَّة في وصف القرآن لمجالس أهل الجنة

د. مها بنت عبد الله مُحَمَّد الهدب[١]

الملخص

موضوع البحث: يهتم هذا البحث بإبراز حديث القرآن عن مجالس أهل الجنة وأوصافها، وأحوال المؤمنين فيها على وجه التفصيل، ويجمع بين أقوال أهل اللغة والتفسير فيها، وفي ذلك مزيد ترغيب بنعيم الجنة، وتلمّس لِلَطائفة وأسراره وتمام النعمة والمنة فيه، من خلال دراسة تجمع متفرق الآيات وتبين معانيها، ولذلك جاء عنوان هذا البحث (تمام المِنَّة في وصف القرآن لمجالس أهل الجنة).

أهداف البحث: يهدف البحث إلى جمع الآيات المتعلقة بمجالس أهل الجنة، وبيان أنواع تلك المجالس، وأوصافها، وتحليلها في اللغة والتفسير، مع بيان هيئات أهل الجنة في مجالسهم، وإبراز سمات المنهج القرآني في وصف تلك المجالس.

منهج البحث: جمع هذا البحث بين المنهج الاستقرائي والمنهج الوصفي التحليلي.

أهم النتائج: أن مجالس أهل الجنة كالحِلَق دائرية، وقد ذكر القرآن من أنواعها: الفرش،

(١) الأستاذ المشارك بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
حاصلة على درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٢٧هـ عن أطروحتها (كتابة القرآن الكريم بغير الرسم العثماني دراسة تاريخية وموضوعية).
حاصلة على درجة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٣٤هـ عن أطروحتها (اختيارات ابن نَجاح (ت: ٤٩٦هـ) في رسم المصحف وضبطه جمعًا ودراسة).
البريد الالكتروني hadab259@gmail.com

والسرر، والرفرف، والبسط، والنمارق، والأرائك، وكانت هيئة أهل الجنة فيها هي الاتكاء فقط دون غيره من الألفاظ التي تُشعر بهيئات النوم.

وذكر القرآن ثمانية أحوال دالة على كمال النعيم للمؤمنين في مجالسهم كالتقابل، والتزويج، ودنو الظلال والجنى، وطواف الخدم، وغيرها.

وكان من سمات المنهج القرآني في وصف تلك المجالس: تصويرها بما هو مألوف في الدنيا، واستعمال الفرائد القرآنية، ومجيء غالب تلك الأوصاف في القرآن المكي، وقد جاءت غالب أقوال المفسرين في ذلك قريبة من أقوال أهل اللغة.

الكلمات المفتاحية: الجنة، مجالس، منهج القرآن.

Complete of the grace in describing the Quran for paradise people councils

Research topic: This research is concern with highlight care of the Holy Quran by stating the paradise people councils and its descriptions, and the conditions of believers of it in detail, and combines the native language speakers sayings and explanation in that, and in that more encourage of paradise, touching the community and its secrets, and the complete of blessing and grace by studying combines sparse verses, and explain its meaning in one subject, so this is why the title of this research(complete of the grace in describing the Quran for paradise people assembles).

Research objectives: The research aims to combine the verses concerning with paradise people councils, showing its types, its descriptions and analysing it in language and explanation, with an indication of shapes of paradise people in their councils, and highlight the Quranic methodology features in describing those councils.

Research Methodology: This research has combined between inductive method and descriptive analytical method.

The most important results: The paradise people councils are as a rounded, and the Quran has mentioned its types: cushions, and couches, and the shape of paradise people was only reclining without other language that indicate to sleep.

The Quran has mentioned 8 forms indicating to the complete paradise for believers in their councils converging, marriages, coming of shadow and fruits, servants tour, and others.

one of the Quranic method features in describing those councils was: imagine them with what is familiar in the world, using the Quranic single, and coming most of those description in Meccan Quran, most of the explainers sayings in that close to native language sayings.

Key words: Paradise, Councils, Methodology of the Qur'an.

المقدمة

الحمد لله الذي وعد المؤمنين الجنة، والصلاة والسلام على نبي هذه الأمة، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد عرض القرآن الكريم أنواعًا من نعيم أهل الجنة كلباسهم، وأزواجهم، وطعامهم وشرابهم، ومنازلهم، ومجالسهم، في مواضع كثيرة، وظهرت عنايته الخاصة بوصف مجالس أهل الجنة الجامعة بين النعيم الحسي والمعنوي، مرغّبًا فيها، ومعجزًا في بيانها، ولهذا الوصف منزلته في نفوس المخاطبين وخاصةً العرب الذين عُرفت منزلة المجالس في نفوسهم، وهي موضع أنسهم بجلسائهم، وفيها يقضون جُلّ أوقاتهم، ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتُبيِّن حديث القرآن عن مجالس أهل الجنة وأوصافها وأحوالهم فيها، وتُبرز عظيم امتنان الله ﷻ على المؤمنين في هذا النوع من النعيم، وتشوّق النفوس إليه، وترسخ عقيدة الإيمان باليوم الآخر، وقد جاءت بعنوان: (تمام المِنَّة في وصف القرآن لمجالس أهل الجنة).

أهمية الموضوع

١. مكانة مجالس أهل الجنة في القرآن الكريم، وما ظهر من عناية القرآن ببيانها على وجه التفصيل.
٢. تعلق الموضوع بعقيدة الإيمان باليوم الآخر وأهمية ذلك في حياة المسلم.
٣. أن في إبراز نعيم أهل الجنة المتعلق بأنواع مجالس وفُرُشهم وأحوالهم فيها مزيدَ ترغيب في هذا النعيم.

أهداف البحث

١. جمع الآيات القرآنية المتعلقة بمجالس أهل الجنة.
٢. بيان أنواع مجالس أهل الجنة وأوصافها في القرآن الكريم، وتحليلها في اللغة والتفسير.

٣. بيان هيئة جلوس أهل الجنة، والأحوال المتعلقة بها.

٤. إبراز سمات المنهج القرآني في وصف مجالس أهل الجنة.

أسئلة البحث

١. ما أنواع مجالس أهل الجنة وما أوصافها في القرآن الكريم؟

٢. ما هي هيئة جلوس أهل الجنة؟

٣. ما أحوال المؤمنين المرتبطة بمجالسهم في الجنة؟

٤. ما هي سمات المنهج القرآني في وصف مجالس أهل الجنة؟

منهج البحث

سلك هذا البحث المنهج الاستقرائي في جمع الآيات المتعلقة بمجالس أهل الجنة، والمنهج الوصفي التحليلي في دراسة الآيات وتحليلها في اللغة والتفسير، مع الالتزام بالإجراءات المتبعة في البحوث العلمية.

الدراسات السابقة

بعد البحث والتقصي في قواعد المعلومات ظهرت بعض الدراسات التي لها تعلق بموضوع هذا البحث، لكن ظهرت بينها وبينه فروقات في جوانب متعددة، ومن ذلك:

١. (لغة القرآن في وصف الجنة في السور الثلاث الرحمن والواقعة والإنسان)، أحلام عبود، مجلة العلوم الإنسانية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل، ع١، ٢٠٠٩م، (ص٤٦-٦٣).

وتتكون هذه الدراسة من أحد عشر مبحثًا، وجاء ذكر (بيوت أهل الجنة وفرشها) في المبحث الخامس منها، ويظهر الفرق بين هذا البحث والدراسة المذكورة من جهة اقتصار الدراسة على بيان جانب من فرش الجنة من خلال ثلاث سور فقط، بينما يهدف هذا البحث

إلى استقراء الآيات الواردة في وصف الفرش وبيانها من خلال القرآن كاملاً.

٢. (بيوت الجنة ومنازلها في القرآن والسنة والأعمال الموصلة إليها)، محمد العمري، إشراف: فؤاد البعداني، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية، المدينة، ٢٠١٤م.

وتتكون الدراسة من سبعة فصول تعرض فيها الباحث لذكر صفة بيوت الجنة ومنازلها ضمن مباحث الفصل الأول، ويظهر الفرق بين هذه الدراسة وهذا البحث في أن الدراسة المذكورة دراسة دعوية من خلال القرآن والسنة، أما هذا البحث فهو دراسة موضوعية من خلال القرآن الكريم، كما أنها تعرضت لذكر صفة بيوت الجنة ومنازلها بوجه عام، بينما ركّز هذا البحث على استقراء المجالس ومكوناتها وتحليل الألفاظ الواردة فيها.

٣. (الجنة وأهلها من خلال القرآن الكريم)، سليمان عبد الرحمن، إشراف: فضل عباس، رسالة ماجستير، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٨م.

وتتكون الدراسة من تمهيد وبابين وستة فصول، وقد تعرضت لذكر أثاث أهل الجنة في المبحث السادس من الفصل الثاني من الباب الثاني في (٨) صفحات فقط، ولم يستقرئ الباحث جميع المواضع ولا جميع أوصاف الفرش والأثاث التي أوردها القرآن الكريم.

وتظهر الإضافة العلمية لهذا البحث على تلك الدراسات من خلال:

أ- استقراء جميع المواضع التي وردت في القرآن حول موضوع مجالس أهل الجنة، ومكوناتها، وأوصافها، وتحليل الألفاظ الواردة فيها من خلال اللغة والتفسير.

ب- بيان هيئة جلوس أهل الجنة والأحوال المقترنة بها، وسمات المنهج القرآني في حديثه عن مجالس أهل الجنة، وهو ما خلت منه الدراسات السابقة.

خطة البحث

اشتمل البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، على النحو التالي:

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأهداف البحث، وتساؤلاته، ومنهجه، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

المبحث الأول: أنواع مجالس أهل الجنة وأوصافها في القرآن الكريم، وفيه ستة مطالب:

- المطلب الأول: الفُرُش وأوصافها في القرآن.
- المطلب الثاني: السُّرُر وأوصافها في القرآن.
- المطلب الثالث: الرفرف ووصفه في القرآن.
- المطلب الرابع: البسط وأوصافها في القرآن.
- المطلب الخامس: النمارق ووصفها في القرآن.
- المطلب السادس: الأرائك ووصفها في القرآن.

المبحث الثاني: هيئة جلوس أهل الجنة، والأحوال المقترنة بها، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: هيئة الاتكاء على الأرائك.
- المطلب الثاني: أحوال المؤمنين في مجالس الجنة.

المبحث الثالث: سمات المنهج القرآني في وصفه مجالسَ أهل الجنة، وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: استعمال الفرائد القرآنية.
- المطلب الثاني: تصوير مجالس أهل الجنة بما هو مألوف في الدنيا.
- المطلب الثالث: ورود غالب وصف مجالس أهل الجنة في القرآن المكي.

الخاتمة: وفيها نتائج البحث.

المبحث الأول

أنواع مجالس أهل الجنة وأوصافها في القرآن الكريم

إن نعيم الجنة الذي أعده الله لعباده المتقين جاء مفصلاً في القرآن الكريم، ومن ذلك النعيم مجالسهم التي جاءت متعددة الأصناف ومتنوعة الأوصاف، وهذا التنوع يكمل معه النعيم ليهيمن على النفوس ويزيدها شوقًا له، ومن أنواع هذه المجالس التي ذكرها القرآن: الفرش، والسرر، والرفرف، والبسط، والنمارق والأرائك، وفي المطالب التالية تفصيل ذلك.

المطلب الأول: الفُرُش وأوصافها في القرآن

ورد ذكر فُرُش أهل الجنة في موضعين من القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤].

الفُرُش في اللغة: جمع فِراش، ويُجمع أيضًا على أَفْرِشة[١]، والفاء والراء والشين أصل صحيح يدل على تمهيد الشيء وبسطه[٢]، وهو: ما يُفرش، أي: ما يُبسط[٣].

وجاء وصف فُرُش أهل الجنة بوصفين، وهما:

١. أن بطائنها من إستبرق، قال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤]، وقد ذكر المفسرون في المراد بالبطائن وجهين:

(١) ينظر: المحكم، ابن سيده، ٨/ ٤٩، ولسان العرب، ابن منظور، ٦/ ٣٢٦، وتاج العروس، الزبيدي، ١٧/ ٣٠٥، مادة (فرش).
(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤/ ٤٨٦، مادة (فرش).
(٣) ينظر: المحكم، ابن سيده، ٨/ ٤٨، ولسان العرب، ابن منظور، ٦/ ٣٢٦، وتاج العروس، الزبيدي، ١٧/ ٢٩٩، مادة (فرش).

أحدهما: أنه أراد البطانة التي تحت الظهارة[١]، وهي ما يلي الأرض[٢]، قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ): "نعت بطائن فرشهم وسكت عن ظهائرها؛ اكتفاء بما مدح به البطائن بطريق الأولى والأحرى"[٣]، وقد قيل لسعيد بن جبير (ت: ٩٥هـ): "هذه البطائن من إستبرق فما الظواهر؟ قال: هذا مما قال الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧][٤]".

والآخر: أنه أراد بالبطانة الظهارة نفسها، قاله قتادة، والعرب تجعل البطن ظهرًا، فيقولون هذا بطن السماء وظهر السماء[٥]، وأنكر هذا القول ابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ)، فقال: "هذا أيضًا من عجب التفسير؛ كيف تكون البطانة ظهارة، والظهارة بطانة، والبطانة: ما بطن من الثوب وكان من شأن الناس إخفاؤه، والظهارة: ما ظهر منه وكان من شأن الناس إبداؤه؟!...إنَّما أراد الله جل وعز أن يعرفنا -من حيثُ نفهم- فضلَ هذه الفُرش وأن ما ولِيَ الأرضَ منها إستَبْرَقٌ، وهو: الغليظ من الدِّيباج، وإذا كانت البِطانة كذلك: فالظِّهارةُ أعلى وأشرفُ... وأما قولهم: ظهر السماء وبطن السماء؛ -لما ولِينَا-: فإن هذا قد يجوز في ذي الوجهين المتساويين إذا ولِيَ كلُّ واحد منهما قومًا. تقول في حائط بينك وبين قوم -لِمَا وَلِيَكَ منه-: هذا ظهرُ الحائط؛ ويقول الآخَرون لما وَلِيَهم: هذا ظهر

(١) ينظر: النكت والعيون، الماوردي، ٥/ ٤٣٩، ومعالم التنزيل، البغوي، ٧/ ٤٥٣، وزاد المسير، ابن الجوزي، ٤/ ٢١٣.
(٢) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ٥/ ١٠٤.
(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/ ٤٧٠.
(٤) جامع البيان، الطبري، ٢٣/ ٦٢.
(٥) ينظر: معاني القرآن، الفراء، ٣/ ١١٨، وجامع البيان، الطبري، ٢٣/ ٦١، والنكت والعيون، الماوردي، ٥/ ٤٣٩، وزاد المسير، ابن الجوزي، ٤/ ٢١٣.

الحائط، فكل واحد -من الوجهين-: ظهرٌ وبطنٌ"[١].

وفي وصف الفُرُش بكونها مبطنة بالإستبرق دلالة على أمرين:

أحدهما: أن ظهائرها أعلى وأحسن من بطائنها؛ لأن بطائنها للأرض، وظهائرها للجمال والزينة والمباشرة، **والآخر:** أنها فرش عالية، لها سمك وحشو بين البطانة والظهارة[٢].

٢. أن الفُرُش مرفوعة، قال تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤]، وقد ذهب كثير من المفسرين إلى أن (الفُرُش) هنا هي الحشايا المفروشة للجلوس والنوم[٣]، وأن في وصفها بأنها مرفوعة قولان:

الأول: أنها وطيئة ناعمة لكثرة حشوها؛ زيادة في الاستمتاع بها[٤].

والآخر: أنها عالية طويلة جاء بعضها فوق بعض[٥]، كما يقال: بناء مرفوع[٦]، والقولان محتملان، قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ): "عالية وطيئة ناعمة"[٧].

وذكر بعض المفسرين أن من معاني الفُرُش هنا أنها النساء؛ لأن العرب تسمي المرأة فراشًا ولباسًا على الاستعارة، ويدل على هذا التأويل قوله في الآية اللاحقة: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾ [الواقعة: ٣٥][٨]، وعلى هذا القول يحتمل معنى مرفوعة عدة أوجه:

١. أنهن مرفوعات في القلوب لشدة الميل إليهن.

(١) غريب القرآن، ابن قتيبة، ص:٤٤١-٤٤٢.
(٢) ينظر: التفسير القيم، ابن القيم، ص:٥٠١-٥٠٢.
(٣) ينظر: النكت والعيون، الماوردي، ٥/ ٤٥٤، وزاد المسير، ابن الجوزي، ٤/ ٢٢٣.
(٤) ينظر: المرجعان السابقان، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٨/ ١٩.
(٥) ينظر: معالم التنزيل، البغوي، ٨/ ١٣.
(٦) جامع البيان، الطبري، ٢٣/ ١١٨.
(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٨/ ١٩.
(٨) ينظر: النكت والعيون، الماوردي، ٥/ ٤٥٤، ومعالم التنزيل، البغوي، ٨/ ١٣.

٢. أنهن مرفوعات عن الفواحش والأدناس[١].

٣. أنهن مرفوعات على الأرائك[٢].

٤. أنهن مرفوعات بالجمال والفضل على نساء الدنيا[٣]؛ لأن كل فاضل رفيع[٤].

والقول بأن المراد بالفُرُش: هي الحشايا المفروشة للجلوس والنوم أقوى؛ لأنه الظاهر المستعمل في كلام العرب، ويؤيد ذلك ما ورد في آية الرحمن من وصف الفرش فيها بأن ﴿بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾، وهو غليظ الديباج[٥]، أو هو الديباج المزين بالذهب[٦].

وفي سياق نعيم أهل الجنة ذكر القرآن الكريم أنواع فُرُشهم، وأحوال اتكائهم عليها، فذكر: البسط والرفرف والزرابي والعبقري والنمارق والأرائك، في تنوع دال على صور النعيم ودوامه، ولكل واحد من هذه الفُرُش أوصافه التي تدل على كمال ذلك النعيم.

المطلب الثاني: السُّرُر وأوصافها في القرآن

ورد ذكر سُرُر أهل الجنة في القرآن الكريم في ستة مواضع، في قوله تعالى: ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]، وقوله: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الصافات: ٤٤]، وقوله: ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ﴾ [الزخرف: ٣٤]، وقوله: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ [الطور: ٢٠]، وقوله: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ [الواقعة: ١٥]، وقوله: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ [الغاشية:١٣].

(١) ينظر: النكت والعيون، الماوردي، ٥/ ٤٥٥، وزاد المسير، ابن الجوزي، ٤/ ٢٢٣.

(٢) الكشاف، الزمخشري، ٤/ ٤٦١.

(٣) ينظر: معالم التنزيل، البغوي، ٨/ ١٣، وزاد المسير، ابن الجوزي، ٤/ ٢٢٣.

(٤) تاج العروس، الزبيدي، ١٧/ ٣٠٥.

(٥) ينظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة، ١/ ١٧، وغريب القرآن، ابن قتيبة، ص٢٦٧، وجامع البيان، الطبري، ٢٣/ ٦١.

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/ ٤٦٤.

السُرُر في اللغة: جمع سرير، ويُجمع كذلك على أسِرَّة، وهو المضطجع الذي يُجلس عليه[١]، وأصله من الاستقرار؛ لأن الإنسان يستقر عنده وعند دعته[٢].

السُرُر عند المفسرين

لم يختلف معنى السُرُر عند أهل التفسير عما هو عند أهل اللغة، وقد وصف ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ) السرير بأنه كرسي طويل متسع يجلس عليه المتكئ والمضطجع، له سوق أربع مرتفع على الأرض بنحو ذراع يتخذ من مختلف الأعواد، ويتخذه الملوك من ذهب ومن فضة ومن عاج ومن نفيس العود، ومنهم من يتخذه من الحديد[٣]، وقال الماوردي (ت: ٤٥٠هـ) في سبب تسميتها بالسُرُر: "سميت بذلك؛ لأنها مجلس السرور"[٤].

أوصاف سُرُر أهل الجنة في القرآن

وُصفت سُرُر أهل الجنة بأربعة أوصاف، وهي:

١. **أنها من فضة،** قال تعالى: ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ﴾ [الزخرف: ٣٤]، أي: وجعلنا لبيوتهم أبوابًا من فضة، وسُرُرًا من فضة، قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ): "سُرُر فضة"[٥].

٢. **أنها مصفوفة،** قال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ [الطور: ٢٠]، أي: قد جُعلت صفوفًا، موضوعة بعضها إلى جنب بعض[٦]، وهذه الصفوف لا يستدبر بعضهم بعضًا

(١) ينظر: المحكم، ابن سيده، ٨/ ٤٠٧، ولسان العرب، ابن منظور، ٤/ ٣٦١، مادة (سرر).
(٢) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٣/ ٦٩، مادة (سرر).
(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٧/ ٢٩٢.
(٤) النكت والعيون، الماوردي، ٥/ ٤٥٠.
(٥) جامع البيان، الطبري، ٢١/ ٦٠١.
(٦) ينظر: جامع البيان، الطبري، ٢٢/ ٤٦٦، ومعالم التنزيل، البغوي، ٧/ ٣٨٨، وزاد المسير، ابن الجوزي، ٤/ ١٧٧.

فيها بل هم متقابلون وجوه بعضهم إلى بعض، قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ): "كقوله: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الصافات:٤٤]"(١).

ووصف الله السُرُر بأنها مصفوفة؛ ليدل بذلك على كثرتها، وحسن تنظيمها، واجتماع أهلها وسرورهم، بحسن معاشرتهم، ولطف كلام بعضهم لبعض، فاجتمع لهم من نعيم القلب والروح والبدن ما لا يخطر بالبال، ولا يدور في الخيال، من المجالس الحسنة الأنيقة، والمآكل والمشارب اللذيذة(٢).

٣. **أنها موضونة،** قال تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ [الواقعة: ١٥]، والوَضْن هو: التشبيك والنسْج، فهي سُرُر منسوجة بتركيب بعض أجزائها على بعض كما توضن حلق الدرع بعضها في بعض، وهي مشبكة بالذهب والجوهر(٣).

وإنما توضن سطوح تلك السُرُر؛ ليكون ما يوضع عليها من مفارش وثيرًا فلا يؤلم المضطجع ولا الجالس(٤)، وعليه فالسرر الموضونة هي أوثر السرر(٥).

٤. **أنها مرفوعة،** قال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣]، أي: مرتفعة(٦)، وفي ارتفاعها من النعيم أن المؤمن إذا جلس عليها يرى جميع ما خوّله ربه من النعيم والملك

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/ ٤٣٢.
(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٨١٤.
(٣) ينظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة، ٢/ ٢٤٨، وغريب القرآن، ابن قتيبة، ص٤٤٦، وجامع البيان، الطبري، ٢٣/ ٩٨-١٠٠، ومعاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ٥/ ١١٠، والنكت والعيون، الماوردي، ٥/ ٤٥٠، ومعالم التنزيل، البغوي، ٧/ ٩، والمحرر الوجيز، ابن عطية، ٥/ ٢٤١، وزاد المسير، ابن الجوزي، ٤/ ٢٢٠.
(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٧/ ٢٩٣.
(٥) ينظر: جامع البيان، الطبري، ٢٣/ ١٠٠.
(٦) ينظر: معاني القرآن، الفراء، ٣/ ٢٥٨.

فيها، ويلحق بصره جميع ذلك[١]، وارتفاع السُرُر يكون في ذاتها، وبما عليها من الفُرُش اللينة الوطيئة[٢]، قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ): "عالية ناعمة كثيرة الفرش، مرتفعة السمك... فإذا أراد ولي الله أن يجلس على تلك السرر العالية تواضعت له"[٣].

المطلب الثالث: الرفرف ووصفه في القرآن

ورد ذكر الرفرف في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن:٧٦].

الرفرف في اللغة: اختُلف في كونه جمعًا أو مفردًا، فقيل: هو جمع رَفْرَفَة[٤]، والرفارف جمع الجمع[٥]، وقيل: (رفرف) اسم جمع[٦]، ويدل على كونه جمعًا وصفه بالجمع في قوله ﴿حِسَانٍ﴾[٧].

والراء والفاء (رف) أصلان: أحدهما المصّ وما أشبهه، والثاني الحركة والبريق[٨]، والرفرف المذكور في الفُرُش من الأصل الثاني، وقد ذكرت المعاجم اللغوية معانٍ كثيرة للرفرف، منها: أنه حاشية الثوب أو كِسْر الخباء، أو ثوب عريض تتخذ منه المحابس[٩]، أو

(١) جامع البيان، الطبري، ٢٤/ ٣٨٧.
(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص:٩٢٢.
(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٨/ ٣٨٦.
(٤) ينظر: المحكم، ابن سيده، ١٠/ ٢٢٩، والصحاح، الجوهري، ٤/ ١٣٦٦، مادة (رف).
(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ٥/ ١٠٥، والكشف والبيان، الثعلبي، ٩/ ١٩٧، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٧/ ١٩٢، واللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ١٨/ ٣٦١.
(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٧/ ١٩٢، واللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ١٨/ ٣٦١.
(٧) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ١٨/ ٣٦٢.
(٨) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢/ ٣٧٦، مادة (رف).
(٩) المحابس: جمع محبس وهو ثوب يطرح على ظهر الفراش. ينظر: جمهرة اللغة، ابن دريد، ١/ ٢٧٧.

رفرف البيت، أو المنتشر من الأوراق، أو أنه الفرش المرتفعة، ووجدت بعد التأمل أن تلك التسميات مشتقة من معان ستة، وهي:

١. الحركة، ومنه الرفرف: كِسْر الخِباء ونحوه، وهو الخِرقة التي تُخاط في أسفل الفسطاط ونحوه[١]، وسمي بذلك لأنه يتحرك عند هبوب الريح[٢].

٢. البَسْط، ومنه رَفْرَفَ الطائر بجناحيه أي: بسطهما عند السقوط على شيء يحوم عليه ليقع فوقه[٣]، ومنه إطلاقهم الرفرف على ضرب من الثياب خُضْر تُبسَط[٤]، ومنه قول ابن مسعود ﷺ (ت: ٣٢هـ) في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ [النجم: ١٨] «رأى رفرفًا أخضر قد سد الأفق»[٥]، أي: بساطًا، وقيل: فراشًا[٦].

٣. الارتفاع، ومنه رفرفُ البيت، وهو الرفُّ الذي يُجعل عليه طرائف البيت[٧].

٤. الفضل والزيادة من الشيء، يُقال: رَفْرَفُ الدرعِ: ما فضل من ذيلها، ورَفْرَفُ الأيكةِ: ما تهدل من غصونها، ولذلك أطلقوا الرفرف على الشجر الناعم المسترسل؛ ومنه بيت المعطل الهذلي يصف الأسد:

---

(١) ينظر: العين، الخليل، ٨/ ٢٥٥، والصحاح، الجوهري، ٤/ ١٣٦٧، وتهذيب اللغة، الأزهري، ١٥/ ١٢٤، والمحكم، ابن سيده، ١٠/ ٢٢٨، وتاج العروس، الزبيدي، ٢٣/ ٣٦١، مادة (رف).

(٢) الكشاف، الزمخشري، ٤/ ٤٥٤.

(٣) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٩/ ١٢٥.

(٤) ينظر: العين، الخليل، ٨/ ٢٥٥، والمحكم، ابن سيده، ١٠/ ٢٢٩، والصحاح، الجوهري، ٤/ ١٣٦٦، مادة (رف).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب تفسير القرآن، باب ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾، ٦/ ١٤١، ح (٤٨٥٨).

(٦) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٢/ ٢٤٣، وتهذيب اللغة، الأزهري، ١٥/ ١٢٤، ولسان العرب، ابن منظور، ٩/ ١٢٦.

(٧) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري، ١٥/ ١٢٤، ولسان العرب، ابن منظور، ٩/ ١٢٦، وتاج العروس، الزبيدي، ٢٣/ ٣٦١، مادة (رف).

لَهُ أَيْكَةٌ لا يَأمَنُ الناسُ غَيبَها حَمَى رفرفًا منها سِباطًا وخِروَعا[١]

٥. اللين والغضاضة، من رَفَّ النبت إذا صار غضًا نضيرًا، ومنه: رفيف الشجرة، إذا تندَّت[٢]، واهتزت خضرةً ونضارةً[٣].

٦. الانتشار، ومنه رَفيفُ الشجر: انتشار أغصانه، والرفرف: المنتشر من أوراق الشجر[٤].

الرفرف عند المفسرين

١. أنها رياض الجنة، قاله سعيد بن جبير (ت: ٩٥هـ)[٥].

٢. أنها المحابس، أو فضول المحابس والبسط، قاله ابن عباس (ت: ٦٨هـ) وغيره[٦].

٣. أنها المرافق أو الوسائد، قاله الحسن[٧]، واختاره الزجاج (ت: ٣١١هـ) فقال: "فمعنى (رفرف) ههنا، و(عبقري) أنه الوسائد والبسط، ويدل - والله أعلم - على أن الوسائد ذوات رفرف"[٨].

وعليه يكون اشتقاق الرفرف المذكور في الآية وفق هذه المعاني التي ذكرها المفسرون من:

أ- الارتفاع والانتشار، يُقال: رَفَّ الطائر إذا ارتفع في الهواء، ورفرف بجناحيه إذا نشرهما

(١) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري، ١٥/ ١٢٤، والمحكم، ابن سيده، ١٠/ ٢٢٩، ولسان العرب، ابن منظور، ٩/ ١٢٦، مادة (رف).
(٢) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢/ ٣٧٦، مادة (رف)، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٧/ ١٩١).
(٣) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٩/ ١٢٧، مادة (رف).
(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ص٣٥٩.
(٥) ينظر: جامع البيان، الطبري ٢٣/ ٨٣، والنكت والعيون، الماوردي ٥/ ٤٤٣، وزاد المسير، ابن الجوزي ٤/ ٢١٧، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/ ٥٠٩.
(٦) ينظر: المراجع السابقة.
(٧) ينظر: جامع البيان، الطبري، ٢٣/ ٨٤، والنكت والعيون، الماوردي، ٥/ ٤٤٣، وزاد المسير، ابن الجوزي، ٤/ ٢١٧، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/ ٥٠٩.
(٨) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ٥/ ١٠٥.

للطيران، ورفيف الشجر: انتشار أغصانه[١]، وكذلك الرفرف في الآية مرتفع واسع، قال السمعاني (ت: ٤٨٩هـ):" وعلى الجملة: الرفرف كل فرش يرتفع، مأخوذ من الرف، وهو المرتفع في الجدار"[٢].

ب- الحركة، فإن الرفرفة: هي تحريك الطائر جناحه في الهواء وهو لا يبرح مكانه، والرفيف والوريف لغتان في النبات الذي يهتز خضرة وتلألؤًا[٣]، وكذلك المحابس في الجنة تتدلى فضولها[٤] وتتحرك وتهتز، وقيل: إن الرفرف يتحرك بمن هو فوقه ويتأرجح يمينًا وشمالاً، ورفعًا وخفضًا، حيث نقل القرطبي (ت:٦٧١هـ) ذلك في تفسيره عن الحكيم الترمذي (ت: نحو ٣٢٠هـ)، فقال: " وقد قيل: إن الرفرف شيء إذا استوى عليه صاحبه رفرف به وأهوى به كالمرجاح يمينًا وشمالاً ورفعًا وخفضًا يتلذذ به مع أنيسته"[٥]، وقال: "فهذا الرفرف الذي سخره الله لأجل الجنتين الدانيتين هو متكأهما وفرشهما، يرفرف بالولي على حافات تلك الأنهار وشطوطها حيث شاء إلى خيام أزواجه الخيرات الحسان"[٦].

ت- الحُسن، وبذلك وجهوا قول من قال هي رياض الجنة، فإنه من رفَّ النبت، إذا نعُم وحسُن[٧]، وصار غضًا نضيرًا[٨].

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ١٨/ ٣٦٢.
(٢) تفسير السمعاني، ٥/ ٣٣٩.
(٣) ينظر: العين، الخليل، ٨/ ٢٥٥، وتهذيب اللغة، الأزهري، ١٥/ ١٢٣، مادة (رف).
(٤) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ١٨/ ٣٦١.
(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٧/ ١٩١. وينظر: نوادر الأصول في أحاديث الرسول: الحكيم الترمذي، ١/ ١٦٤.
(٦) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، القرطبي، ص٩٣٥.
(٧) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ٥/ ٢٣٦، واللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ١٨/ ٣٦١.
(٨) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ١٨/ ٣٦١.

وقد ذكر القرطبي (ت: ٦٧١هـ) أن معاني الرفرف التي ذكرها المفسرون متقاربة[١]، بينما صوَّب ابن عطية (ت: ٥٤٢هـ) كونه ما تدلى من الأسرة من غالي الثياب والبسط[٢]، ورجحه ابن القيم (٧٥١هـ)[٣]، وقال السعدي (ت: ١٣٧٦هـ): "متكؤهم على الرفرف الأخضر، وهي الفرش التي ... قد زادت على مجالسهم، فصار لها رفرفة من وراء مجالسهم؛ لزيادة البهاء وحسن المنظر"[٤].

وبالنظر في أقوال المفسرين في معنى الرفرف يمكن الجمع بينها؛ لأن الرفرف إما أن يكون أصله من رف الزرع إذا بلغ من نضارته فيكون مناسبًا لقوله تعالى: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٤]، ويكون التقدير: أنهم متكئون على الرياض والثياب العبقرية، وإما أن يكون من رفرفة الطائر، وهي حومه في الهواء حول ما يريد النزول عليه فيكون المعنى أنهم على بسط مرفوعة، كما قال تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤]، وهذا يدل على أن قوله تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٢] أنهما دونهما في المكان حيث رفعت فرشهم[٥].

وقد وصف الله تعالى (الرفرف) بأنها (خضر)، وبأنها (حسان) في قول بعض المفسرين[٦].

وهذا اللون الأخضر في الثياب والفرش نادر عند العرب وهو يستعمل عادة لدى

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٧/ ١٩٠.
(٢) المحرر الوجيز، ابن عطية، ٥/ ٢٣٦.
(٣) التفسير القيم، ابن القيم، ص٥٠٩.
(٤) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٨٣٢.
(٥) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٩/ ٣٨١.
(٦) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٧/ ٢٧٥.

الملوك والأمراء والكبراء[١]، وإليه تميل الطباع في الدنيا أكثر[٢]، وهو لون يسر الخاطر[٣]، وأنسب ما يكون للنظر[٤]، قال الرازي (ت: ٦٠٦هـ): "ولما كان ميل النفس في الدنيا إلى الأخضر ذكر الله تعالى في الآخرة ما هو على مقتضى طبعه في الدنيا"[٥]، وسبب الميل إليه هو أن الخضرة جامعة لأصول الألوان الثلاثة: الأبيض والأسود والأحمر[٦]، وقيل: إن الأبيض يفرق البصر ولهذا لا يقدر الإنسان على إدامة النظر في الأرض عند كونها مستورة بالثلج وإنه يورث الجهر، والنظر إلى الأشياء السود يجمع البصر ولهذا كره الإنسان النظر إليه وإلى الأشياء الحمر كالدم، والأخضر لما اجتمع فيه الأمور الثلاثة دفع بعضها أذى بعض وحصل اللون الممتزج من الأشياء التي في بدن الإنسان وهي الأحمر والأبيض والأصفر والأسود[٧].

المطلب الرابع: البسط وأوصافها في القرآن

ورد ذكر بُسط أهل الجنة في موضعين من القرآن الكريم، مرة باسم (العبقري) وذلك في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن:٧٦]، ومرة باسم (الزرابي) في قوله تعالى: ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١٦].

(١) ينظر: المرجع السابق.
(٢) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٩/ ٣٨٢.
(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٧/ ٢٧٥.
(٤) ينظر: تفسير العثيمين: الحجرات- الحديد، ص٣٢٣.
(٥) مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٩/ ٣٨٢.
(٦) ينظر: روح المعاني، الآلوسي، ١٤/ ١٢٤.
(٧) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٩/ ٣٨١-٣٨٢.

العبقري في اللغة: جمع عبقريَّة[١]، وقيل: هو واحد دال على الجمع[٢]، وقد ذكر أهل اللغة في معناها:

١. أنها البسط، قال أبو عبيدة: "وتقول العرب لكل شيء من البسط عبقري"[٣]، وقيل: إنها نوع معين من البسط[٤].

٢. أنها الطنافِس[٥] الثخان[٦]، والطنافِس تطلق على البسط والثياب، والحصير من سَعَفٍ عرضه ذراع[٧].

وأصل العبقري في اللغة صفة لكل ما بولغ في وصفه، نسبة إلى (أرض عبقر)، قال ذو الرمة:

حتى كأنَّ رِياضَ القُفِّ ألبَسَها ... مِن وَشْيِ عَبْقرَ تَجليلٌ وتَنجيدُ[٨]

وقد ذكروا في سبب تسميتها بأرض عبقر ثلاثة أقوال:

الأول: لكثرة الجن فيها[٩]، يقال كأنهم جِنُّ عبقر[١٠].

(١) ينظر: العين، الخليل، ٢/ ٢٩٨، وتهذيب اللغة، الأزهري، ٣/ ١٨٧، والمحكم، ابن سيده، ٢/ ٤١١، مادة (عبقر، ومعاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ٥/ ١٠٥.

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ١٨/ ٣٦٥.

(٣) مجاز القرآن، أبو عبيدة، ٢/ ٢٤٦.

(٤) ينظر: العين، الخليل، ٢/ ٢٩٨، والمحكم، ابن سيده، ٢/ ٤١١، مادة (عبقر).

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ٥/ ١٠٥.

(٦) ينظر: معاني القرآن، الفراء، ٣/ ١٢٠، وغريب القرآن، ابن قتيبة، ص٤٤٤، وغريب القرآن، السجستاني، ص٣١٠.

(٧) ينظر: القاموس المحيط، الفيروزأبادي، ص٥٥٥، مادة (طنفس).

(٨) ينظر: الكشف والبيان، الثعلبي، ٩/ ١٩٨، والبيت من ديوان ذي الرمة، ص٤٧١.

(٩) ينظر: النكت والعيون، الماوردي، ٥/ ٤٤٤، والكشف والبيان، الثعلبي، ٩/ ١٩٨.

(١٠) ينظر: حادي الأرواح، ابن القيم، ص٢٩٩.

الثاني: لكثرة رملها[١].

الثالث: لأنها بلد كانت تُوَشَّى فيه البسط وغيرها[٢].

يقول ابن القيم (ت: ٧٥١هـ): "وذلك أنهم يعتقدون في الجن كل صفة عجيبة وأنهم يأتون بكل أمر عجيب، ولما كان عبقر معروفًا بسكناهم نسبوا كل شيء يبالغ فيه إليها يريدون بذلك أنه من عملهم وصنعهم، هذا هو الأصل، ثم صار العبقري اسمًا ونعتًا لكل ما بولغ في صفته، ويشهد لما ذكرنا بيت زهير فإنه نسب الجن إلى عبقر[٣]، ثم رأينا أشياء كثيرة نسبت إلى عبقر غير البسط والثياب كقوله في صفة عمر عبقريًا، وروى سلمة عن الفراء قال: العبقري السيد من الرجال وهو الفاخر من الحيوان والجوهر، فلو كانت عبقر مخصوصة بالوشي لما نسب إليها غير الموشى، وإنما ينسب إليها البسط الموشية العجيبة الصنعة كما ذكرنا كما نسب إليها كل ما بولغ في وصفه"[٤].

العبقري عند المفسرين

١. أنها البسط (الزرابي)، وهو قول ابن عباس، وقتادة، والحسن، وزاد سعيد بن جبير أنها "عتاق الزرابي"[٥]، يعني جيادها[٦].

(١) ينظر: النكت والعيون، الماوردي، ٥/ ٤٤٤.

(٢) ينظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة، ٢/ ٢٤٦، ومعاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ٥/ ١٠٥.

(٣) في قول زهير: بِخَيْلٍ عليها جِنَّةٌ عَبْقَريةٌ... جَديرون يوماً أَن يَنالوا فيَسْتَعْلُوا. ينظر: ديوان زهير، ص١٠٣.

(٤) حادي الأرواح، ابن القيم، ص٣٠٠.

(٥) ينظر: جامع البيان، الطبري، ٢٣/ ٨٥، وزاد المسير، ابن الجوزي، ٤/ ٢١٧.

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/ ٥٠٩.

٢. أنها الطنافِس[١] الثخان، وقيل: الطنافِس المخملة الرقيقة في ملمسها، وهو قول أبي العالية[٢].

٣. أنها الديباج، وهو قول مجاهد[٣].

٤. أنها ثياب في الجنة لا يعرفها أحد، قاله مجاهد أيضًا[٤].

والأقوال متقاربة؛ فالعرب تسمي كل شيء من البسط عبقريًا[٥]، وهو وصف لما كان فائقًا في صنفه عزيز الوجود[٦]، وفي الجنة تكون لها صفة خاصة فهي من أجود البسط، مصنوعة من الديباج، ثخينة في حشوها، ناعمة في ملمسها، وصفتها لا تخطر على قلب بشر.

صفة العبقري في القرآن الكريم

جاءت (حسان) صفةً لعبقري في قول بعض المفسرين، على اعتبار أن المراد بـ(عبقري) الجنس ولذلك وصف بالجمع حملاً على المعنى[٧]، وحسان: جمع حسناء[٨].

أ **الزرابي في اللغة:** جمع زربية بفتح الزاي وسكون الراء[٩] مخففة الياء[١٠]، وقد ذكر ابن القيم أن

(١) ينظر: جامع البيان، الطبري، ٢٣/ ٨٤، والنكت والعيون، الماوردي، ٥/ ٤٤٣، وزاد المسير، ابن الجوزي، ٤/ ٢١٧.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/ ٥١٠.

(٣) ينظر: جامع البيان، الطبري، ٢٣/ ٨٥، وتفسير السمرقندي، ٣/ ٣٨٩، والنكت والعيون، الماوردي، ٥/ ٤٤٣، وزاد المسير، ابن الجوزي، ٤/ ٢١٧، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/ ٥٠٩.

(٤) ينظر: النكت والعيون، الماوردي، ٥/ ٤٤٤، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/ ٥١٠.

(٥) ينظر: جامع البيان، الطبري، ٢٣/ ٨٤.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٧/ ٢٧٥.

(٧) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ٥/ ١٠٥، وإرشاد العقل السليم، أبو السعود، ٨/ ١٨٧.

(٨) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٧/ ٢٧٥.

(٩) ينظر: المحكم، ابن سيده، ٩/ ٣٢، ولسان العرب، ابن منظور، ١/ ٤٤٧، مادة (زرب).

(١٠) ينظر: تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، الصفدي، ص٢٩٤.

المفرد (زربية) في قول جميع أهل اللغة[١]، ولكن بعضهم ذكر أنها جمع (زربي) بكسر الزاي وقد يضم[٢]، قال أبو عبيدة (ت: ٢٠٩هـ): "الزرابي: البسط، واحدتها: زربية وزربي"[٣].

والمعنى اللغوي للزرابي مأخوذ من التلون، حيث يقال: أَزْرَب البقلُ: إذا بدا فيه اليبس فتلون بخضرة وصفرة[٤]، ويقال زرابي النبت: ما اصفرَّ واحمرَّ وفيه خضرة، فشبهوا الألوان في البسط والفرش بزرابي النبت[٥]؛ وقد ذكر أهل اللغة في معنى الزرابي أقوالاً، منها:

١. أنها الطنافِس بلغة هذيل[٦]، وقيل: الطنافِس المخملة[٧]، قال الفراء (ت: ٢٠٧هـ): "هي الطنافِس التي لها خَمْل رقيق"[٨]، وعليه فإن الزرابي على هذا المعنى تشمل كل ما بسط واتكئ عليه[٩].

٢. أنها ضرب من الثياب محبَّر منسوب إلى بلد أو موضع[١٠]، قال الراغب (ت: ٥٠٢): "وهو ضرب من الثياب محبَّر منسوب إلى موضع، وعلى طريق التشبيه والاستعارة قال:

(١) ينظر: حادي الأرواح، ابن القيم، ص٢٩٨.
(٢) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ١/ ٤٤٧، وتاج العروس، الزبيدي، ٣/ ١٢، مادة (زرب).
(٣) ينظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة، ٢/ ٢٩٦.
(٤) ينظر: المحكم، ابن سيده، ٩/ ٣٢، مادة (زرب).
(٥) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري، ١٣/ ١٣٧، ولسان العرب، ابن منظور، ١/ ٤٤٧، مادة (زرب).
(٦) ينظر: اللغات في القرآن، ابن حسنون، ص٥٤، والمحكم، ابن سيده، ٩/ ٣٢، ولسان العرب، ابن منظور، ١/ ٤٤٧، مادة (زرب).
(٧) ينظر: غريب القرآن، السجستاني، ص٢٥٤، والتبيان في تفسير غريب القرآن، ابن الهائم، ص٣٤٢، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، ٢/ ٢١٠.
(٨) معاني القرآن، الفراء، ٣/ ٢٥٨، وينظر: فقه اللغة وسر العربية، الثعالبي، ص١٧٢، وتهذيب اللغة، الأزهري، ١٣/ ١٣٧.
(٩) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ١/ ٤٤٧، مادة (زرب).
(١٠) ينظر: بصائر ذوي التمييز، الفيروزأبادي، ٣/ ١٢٥.

﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾"(١)، وهي: القطوع الحيرية وما كان على صنعتها(٢)، وقال بعضهم تنسب الزربية إلى (أذربيجان) بلد من بلاد فارس وبخارى، فأصل زربية أذربية، حذفت همزتها للتخفيف لثقل الاسم لعجمته واتصال ياء النسب به، وذالها مبدلة عن الزاي في كلام العرب لأن اسم البلد في لسان الفرس أزربيجان بالزاي المعجمة بعدها راء مهملة وليس في الكلام الفارسي حرف الذال، وبلد (أذربيجان) مشهور بنعومة صوف أغنامه، وبدقة صنع البسط والطنافِس ورقة خملها(٣).

٣. أنها البسط(٤)، وقال بعضهم: هي البسط الفاخرة(٥)، وقيل: الملونة(٦).

٤. أنها النمارق أي: الوسائد(٧)، ولم يُفَرَّق هنا بين الزرابي والنمارق، والذي يظهر أن هناك فرقًا بينهما؛ لأن النمارق مذكورة في الآية قبلها(٨).

ويُستخلص من المعاني التي ذكرها أهل اللغة أن الزرابي تعني ما بُسط واتُكئ عليه مما كان له خمل، أو كان فاخرًا أو ملونًا.

(١) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ص٣٧٩.
(٢) ينظر: العين، الخليل، ٧/ ٣٦٢، والمحكم، ابن سيده، ٩/ ٣٢، مادة (زرب)، وأساس البلاغة، الزمخشري، ١/ ٤١١.
(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٣٠/ ٣٠٢.
(٤) ينظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة، ٢/ ٢٩٦، ومعاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ٥/ ٣١٨، وغريب القرآن، السجستاني، ص٢٥٤، والمحكم، ابن سيده، ٩/ ٣٢، وتهذيب اللغة، الأزهري، ١٣/ ١٣٧، ولسان العرب، ابن منظور، ١/ ٤٤٧، مادة (زرب).
(٥) ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، ٢/ ٢١٠.
(٦) ينظر: فقه اللغة وسر العربية، ص١٧٢، ومعجم أسماء الأشياء، اللَّبَابِيدي، ص٣٤٩.
(٧) ينظر: جمهرة اللغة، لابن دريد، ١/ ٣٠٨، والصحاح، الجوهري، ١/ ١٤٣، مادة (زرب).
(٨) مختار الصحاح: للرازي، ص١٣٥، مادة (زرب).

الزرابي عند المفسرين

تدور أقوال المفسرين في معنى الزرابي في الآية حول أنها البسط، أو أنها نوع خاص من البسط، وهو ما له خمل (وبر) منها[١]، وهو ما روي عن ابن عباس أنه قال: "هي الطنافس التي لها خمل"[٢]، ولذلك ذهب بعض المفسرين إلى القول بالمعنيين[٣]، وذهب بعضهم إلى تفسيرها بالبسط الفاخرة[٤]، ومؤدى القولين واحد؛ لأن المراد ليس مجرد البسط بل هي بسط فاخرة ذات وبر، منسوجة من الصوف الملون الناعم تفرش في الأرض للزينة والجلوس عليها[٥].

صفة زرابي أهل الجنة في القرآن

جاء وصفها بأنها (مبثوثة)، وهذا الوصف يحتمل معان، منها:

١. أنها مبسوطة[٦]، قاله قتادة[٧].

٢. أن بعضها فوق بعض، قاله عكرمة[٨].

---

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ٢٠/ ٢٩٩.

(٢) ينظر: معالم التنزيل، البغوي، ٨/ ٤٠٩، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٠/ ٣٤.

(٣) ينظر: جامع البيان، الطبري، ٢٤/ ٣٨٧، والتفسير الوسيط، الواحدي، ٤/ ٤٧٥، ومعالم التنزيل، البغوي، ٨/ ٤٠٩، والكشاف، الزمخشري، ٤/ ٧٤٤، ومفاتيح الغيب، الرازي، ٣١/ ١٤٣، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٠/ ٣٤.

(٤) ينظر: تفسير السمعاني، ٦/ ٢١٤، وأنوار التنزيل، البيضاوي، ٥/ ٣٠٨.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٣٠/ ٣٠٢.

(٦) ينظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة، ص٦٢، والنكت والعيون، الماوردي، ٦/ ٢٦١، ومعالم التنزيل، البغوي، ٨/ ٤٠٩، والكشاف، الزمخشري، ٤/ ٧٤٤، وأنوار التنزيل، البيضاوي، ٥/ ٣٠٨.

(٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٠/ ٣٤، واللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ٢٠/ ٢٩٩.

(٨) ينظر: النكت والعيون، الماوردي، ٦/ ٢٦١، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٠/ ٣٤، واللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ٢٠/ ٢٩٩.

٣. أنها كثيرة، قاله الفراء[١].

٤. أنها متفرقة في المجالس[٢]، قاله القتبي[٣]، قد فرشت المجالس بها[٤].

واختار بعض المفسرين في معنى البث: الكثرة، والبسط، والتفريق[٥]، قال البقاعي (ت: ٨٨٥هـ): "وزرابي: أي بسط عريضة كثيرة الوبر كأنها الرياض فاخرة ناضرة زائدة عن مواضع استراحاتهم، وهي جمع زربية، مبثوثة: أي مبسوطة على وجه التفرق في المواضع التي لا يراد التنزه بها من مواضع الرياحين النابتة والأشجار المتشابكة، كما بسط سبحانه وتعالى أديم الأرض ورصّعه بأنواع النبات الفاخرة بما بسطوا أنفسهم في الدنيا للحق وألانوها له"[٦].

والذي يظهر من معنى البث أنه التفريق مع الكثرة، قال الطبري (ت: ٣١٠هـ): "كثيرة مفروشة"[٧]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ﴾ [البقرة: ١٦٤][٨]، وهو ما رجحه القرطبي (ت:٦٧١هـ) وغيره[٩]، وقال به بعض أهل اللغة من أنها مفرقة كثيرة في كل

(١) ينظر: معاني القرآن، الفراء، ٣/ ٢٥٨. وينظر: النكت والعيون، الماوردي، ٦/ ٢٦٢.
(٢) ينظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة، ص٦٢، والتفسير الوسيط، الواحدي، ٤/ ٤٧٥، ومعالم التنزيل، البغوي، ٨/ ٤٠٩، والكشاف، الزمخشري، ٤/ ٧٤٤، ومفاتيح الغيب، الرازي، ٣١/ ١٤٣.
(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٠/ ٣٤، واللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ٢٠/ ٢٩٩.
(٤) ينظر: تفسير السمعاني، ٦/ ٢١٤.
(٥) ينظر: التفسير الوسيط، الواحدي، ٤/ ٤٧٥، وحادي الأرواح، ابن القيم، ص٢٩٨، ومفاتيح الغيب، الرازي، ٣١/ ١٤٣.
(٦) نظم الدرر، البقاعي، ٢٢/ ١٢.
(٧) ينظر: جامع البيان، الطبري، ٢٤/ ٣٨٧.
(٨) فتح البيان في مقاصد القرآن، القنوجي، ١٥/ ٢٠٦.
(٩) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٠/ ٣٤، واللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ٢٠/ ٢٩٩، والجواهر الحسان، الثعالبي، ٥/ ٥٨٣.

مجالسهم[١]، قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ): "وبث الزرابي دال على كثرتها وأنها في كل موضع لا يختص بها صدر المجلس دون مؤخره وجوانبه"[٢].

المطلب الخامس: النمارق وصفتها في القرآن

ورد ذكر النمارق مرة واحدة في كتاب الله في قوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ [الغاشية:١٥].

النمارق في اللغة: جمع نُمْرُق ونُمْرُقَة، بتثليث النّون، والضم هو المشهور[٣]، والكسر لغة حكاها يعقوب[٤]، وقال الفراء (ت: ٢٠٧هـ): وسمعتها من بعض كلْب[٥]، أما الفتح فضعيف، قال الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ): "وأما الفتح فلم أره فيما تيسر عندي من المواد، إلا أن تكون اللغة الثالثة فتحَ الراء مع ضم الميم، ولكن يحتاج إلى دليل قوي"[٦]، وذكر أهل اللغة في معناها أقوالاً، منها:

١. أنها الوسادة[٧]، وقيل: هي الوسادة بلغة قريش[٨].

(١) ينظر: غريب القرآن، السجستاني، ص٢٥٤، والتبيان في تفسير غريب القرآن، ابن الهائم، ص٣٤٢.
(٢) حادي الأرواح، ابن القيم، ص ٢٠٨.
(٣) ينظر: تاج العروس، الزبيدي، ٢٦/ ٤٣٨، مادة (نمرق).
(٤) ينظر: الصحاح، الجوهري، ٤/ ١٥٦١، ومختار الصحاح، الرازي، ص٣١٩، وتاج العروس، الزبيدي، ٢٦/ ٤٣٨، مادة (نمرق).
(٥) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري، ٩/ ٣١٠، ولسان العرب، ابن منظور، ١٠/ ٣٦١، مادة (نمرق).
(٦) ينظر: تاج العروس، الزبيدي، ٢٦/ ٤٣٨-٤٣٩، مادة (نمرق).
(٧) ينظر: العين، الخليل، ٥/ ٢٦٥، ومعاني القرآن، الفراء، ٣/ ٢٥٨، ومجاز القرآن، أبو عبيدة، ٢/ ٢٩٦، وغريب القرآن، ابن قتيبة، ص٥٢٥، وتهذيب اللغة، الأزهري، ٩/ ٣١٠، ولسان العرب، ابن منظور، ١٠/ ٣٦١، مادة (نمرق).
(٨) ينظر: تفسير مقاتل، ٤/ ٦٧٩، واللغات في القرآن، ابن حسنون، ص٥٤.

٢. أنها الوسادة الصغيرة.

٣. أن النمرقة هي التي يلبسها الرحل[١]، قال أبو عبيد :النمرقة والنمرق والميثرة ما افترشت است الراكب على الرحل كالمِرْفقة، غير أن مؤخرها أعظم من مقدمها ولها أربعة سيور تُشَدُّ بآخِرة الرحل وواسطه"[٢].

النمارق عند المفسرين

ذكر المفسرون أنها الوسائد[٣]، وذكر الواحدي (ت: ٤٦٨هـ) والرازي (ت: ٦٠٦هـ) أنها الوسائد في قول الجميع[٤].

وصف النمارق في القرآن

جاء وصف النمارق في القرآن الكريم بأنها (مصفوفة) أي: صف بعضها إلى جنب بعض[٥]؛ للاستناد إليها والاتكاء عليها، وفي هذا الوصف يحصل كمال النعيم من وجوه، منها:

١. أنها في غاية الكثرة مصفوفة بعضها إلى بعض كأنها الروابي المنضدة على بساط الأرض[٦]،

(١) ينظر: الصحاح، للجوهري، ٤/ ١٥٦١، ومختار الصحاح، الرازي، ص٣١٩، ولسان العرب، ابن منظور، ١٠/ ٣٦١، وتاج العروس، الزبيدي، ٢٦/ ٤٣٩، مادة (نمرق).

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ١٠/ ٣٦١، مادة (نمرق).

(٣) ينظر: جامع البيان، الطبري، ٢٤/ ٣٨٧، والهداية الى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، ١٢/ ٨٢٢٦، والنكت والعيون، الماوردي، ٦/ ٢٦١، وتفسير السمعاني، ٦/ ٢١٤، ومعالم التنزيل، البغوي، ٨/ ٤٠٩، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٨/ ٣٨٦، وفتح القدير، الشوكاني، ٥/ ٥٢٣.

(٤) ينظر: التفسير الوسيط، الواحدي، ٤/ ٤٧٥، ومفاتيح الغيب، الرازي، ٣١/ ١٤٣.

(٥) ينظر: معاني القرآن، الفراء، ٣/ ٢٥٨، وجامع البيان، الطبري، ٢٤/ ٣٨٧، والهداية الى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، ١٢/ ٨٢٢٥، والكشاف، الزمخشري، ٤/ ٧٤٤.

(٦) ينظر: نظم الدرر، البقاعي، ٢٢/ ١٢.

فالمؤمن أينما أراد أن يجلس جلس على موسدة واستند إلى الأخرى[١].

٢. أنها مصفوفة قد أريحوا عن أن يضعوها، ويصفوها بأنفسهم[٢]، فيجلس الواحد منهم حيث أراد كما يفعله الملوك دون الحاجة إلى نقلها.

٣. أنها مهيأة للاستناد إليها في كل وقت ليست مخبأة تُصَفّ في وقت دون وقت[٣].

المطلب السادس: الأرائك ووصفها في القرآن

ورد ذكر الأرائك خمس مرات في كتاب الله، في قوله تعالى: ﴿مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ [الكهف:٣١] ، وقوله: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾ [يس: ٥٦]، وقوله: ﴿مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ [الإنسان:١٣]، وقوله: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾ [المطففين:٢٣، ٣٥].

الأرائك في اللغة: جمع أريكة، والهمزة والراء والكاف أصلان: أحدهما شجر، والآخر الإقامة، فالأول: الأراك وهو شجر معروف، والأصل الثاني الإقامة، ومنه الأريكة[٤]، وقد ذكر أهل اللغة في معنى الأريكة أربعة أقوال، وهي:

١. أنها السرير في الحَجَلَة[٥] من دونه ستر[٦].

(١) ينظر: الكشاف، الزمخشري، ٤/ ٧٤٤.
(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٩٢٢.
(٣) ينظر: حادي الأرواح، ابن القيم، ص٢٠٨.
(٤) مقاييس اللغة، ابن فارس، ١/ ٨٣-٨٤، مادة (أرك).
(٥) الحَجَلَة: بالتحريك؛ هو بيت كالقبة يستر بالثياب ويكون له أزرار كبار. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ١١/ ١٤٤، مادة (حجل).
(٦) ينظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة، ١/ ٤٠١، وغريب القرآن، ابن قتيبة، ص٢٦٧، والمحكم، ابن سيده، ٧/ ٨٣، ولسان العرب، ابن منظور، ١٠/ ٣٨٩-٣٩٠، وتاج العروس، الزبيدي، ٢٧/ ٣٩.

٢. أنها الفِراش في الحَجَلَة[١].

٣. أنها السرير مطلقًا سواء كان في حَجَلَة أو لا[٢].

٤. أنها كل ما يتكأ عليه من سرير أو فراش أو منصة[٣].

ويظهر أن هناك فرقًا بين الأريكة والحَجَلَة والسرير وهو: أن الأريكة فراش مزين في قبة أو بيت، فإذا لم يكن فيه سرير فهو حَجَلَة[٤]، فإن لم يكن في حَجَلَة فهو سرير، ولذلك خص الزجاج (ت: ٣١١هـ) الأرائك بما كان في الحِجال من الفرش أو الأسرة[٥]، وقال ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ): "ولا تكون الأريكة إلا بحَجَلة وسرير"[٦].

وقد سميت الأريكة بذلك إمّا لكونها في الأرض متّخذة من أراكٍ، وهو شجرة، أو لكونها مكانًا للإقامة من قولهم: أَرَكَ بالمكان أُرُوكًا، وأصل الأروك: الإقامة على رعي الأراك، ثم تجوّز به في غيره من الإقامات[٧].

الأرائك عند المفسرين

للمفسرين في المراد بها ثلاثة أقوال متقاربة، وهي:

١. أنها السُّرُر في الحِجال[٨]، عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) في قوله ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾ [يس: ٥٦]، قال: "هي السُّرُر في الحِجال"[٩].

(١) ينظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة، ٢/ ١٦٤، ومعاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ٣/ ٢٨٤.
(٢) ينظر: تاج العروس، الزبيدي، ٢٧/ ٣٩، مادة (أرك).
(٣) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٠/ ٣٩٠، وتاج العروس، الزبيدي، ٢٧/ ٣٩، مادة (أرك).
(٤) ينظر: المرجعان السابقان.
(٥) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ٥/ ٢٥٩.
(٦) زاد المسير، ابن الجوزي، ٣/ ٨٢.
(٧) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ص ٧٣.
(٨) ينظر: جامع البيان، الطبري، ١٨/ ٧ ، ٢٠/ ٥٣٨، والهداية الى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، ٦/ ٤٣٧٧، والكشاف، الزمخشري، ٤/ ٢٢، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦/ ٥٨٣.
(٩) جامع البيان، الطبري، ٢٠/ ٥٣٨.

٢. أنها الفُرُش في الحِجال[١].

٣. أنها الحِجال[٢].

ووصف القرآن أرائك أهل الجنة بحُسن المرتفق في قول بعض المفسرين، قال تعالى: ﴿نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٣١]، أي: وحسنت هذه الأرائك في هذه الجنان التي وصف في هذه الآية متكأ[٣]، كما روي عن مجاهد (ت: ١٠٤هـ) في وصف الأرائك أنها من اللؤلؤ والياقوت[٤].

(١) ينظر: الهداية الى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، ٦/ ٤٣٧٧، والنكت والعيون، الماوردي، ٣/ ٣٠٥، والكشاف، الزمخشري، ٤/ ٢٢، وزاد المسير، ابن الجوزي، ٣/ ٨٢.

(٢) ينظر: النكت والعيون، الماوردي، ٣/ ٣٠٥، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥/ ١٥٦.

(٣) ينظر: جامع البيان، الطبري، ١٨/ ١٨، والهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، ٦/ ٤٣٧٧، والتفسير الوسيط، الواحدي، ٣/ ١٤٧.

(٤) ينظر: تفسير مجاهد، ص٥٦١، وجامع البيان، الطبري، ٢٤/ ٢٩٥، ومعالم التنزيل، البغوي، ٨/ ٣٦٩.

المبحث الثاني

هيئة جلوس أهل الجنة، والأحوال المقترنة بها

يبين القرآن الكريم صفة جلوس أهل الجنة في مجالسهم بأنها صفة الاتكاء، ويقترن بهذا الاتكاء جملة من الأحوال التي يكون عليها المؤمنون في تلك المجالس، كالتقابل، والتزويج، والنظر، والأكل والشراب ونحو ذلك، وفيما يأتي من المطالب تفصيل هذه الهيئات والأحوال.

المطلب الأول: هيئة الاتكاء على الأرائك

يصف القرآن الكريم هيئة جلوس أهل الجنة بالاتكاء وذلك في تسعة مواضع، وهي قوله تعالى: ﴿مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ [الكهف:٣١]، وقوله: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾ [يس:٥٦]، وقوله: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ [ص: ٥١]، وقوله: ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ﴾ [الزخرف:٣٤]، وقوله: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور:٢٠]، وقوله: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤]، وقوله: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن:٧٦]، وقوله: ﴿مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ [الواقعة: ١٦]، وقوله: ﴿مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ [الإنسان: ١٣].

والاتكاء في اللغة: هو التحامل على الشيء، ومثله التوكؤ، قال ابن منظور (ت: ٧١١هـ): "المُتكِئ في العربية كل من استوى قاعدًا على وطاء متمكنًا، والعامة لا تعرف المُتكِئ إلا مَن مال في قعوده معتمدًا على أحد شقيه"(١)، ففي الاتكاء معنى الاستواء في القعود على

(١) لسان العرب، ابن منظور، ١/ ٢٠٠، مادة (وكأ).

وجه التمكن، وهذا يكون بالميل في القعود مع الاعتماد على أحد الشقين وهي هيئة الاضطجاع "مع تباعد أعلى الجنب، والاعتماد على المرفق"(١).

وقد ذكر المفسرون في المراد بوصف اتكاء أهل الجنة هذين المعنيين: أنه الاضطجاع(٢)، أو التربع في الجلوس، وإلى الأخير مال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ)(٣).

والحاصل أن الاتكاء هو الجلوس على وجه التمكن والراحة والاستقرار(٤)، ويحصل معه نوع استناد على طريق التنعم(٥)، لذلك يُقال في صفته أنه هيئة بين الجلوس والاضطجاع على الجنب دون وضع الرأس والكتف على الفراش(٦)، ويشهد لذلك المعنى اللغوي؛ فإن الاتكاء: هو الاعتماد و"التحامل على الشيء"(٧)، وهذا التحامل والاعتماد يكون على أحد الشقين، ويشهد لذلك أيضًا سياق الآية في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٣١]، قال بعض المفسرين: المرتفق هو المتكأ، ومنه سمي المرفق مرفقًا؛ لأنه يُتكأ عليه(٨)، ويُقال منه: ارتفقت أي اتكأت على المرفق(٩).

وقد ذُكر الاتكاء لأهل الجنة وهو لفظ مخصوص دون غيره من الألفاظ التي

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٧/ ٢٩٣.
(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥/ ١٥٦، والتحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٧/ ٢٩٣.
(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥/ ١٥٦، ، ٧/ ٥٠٣.
(٤) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٨١٤.
(٥) ينظر: تفسير السمعاني، ٥/ ٣٤٦.
(٦) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٣/ ٤٢.
(٧) فتح القدير، الشوكاني، ٣/ ٣٣٥.
(٨) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٢١/ ٤٦٠.
(٩) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٠/ ٣٩٥.

تُشعر بهيئات النوم؛ لأن أهل الجنة لا ينامون[١]، قال ﷺ: «النوم أخو الموت، ولا يموت أهل الجنة»[٢].

وتعد هيئة الاتكاء هيئة خير[٣]، وهي مجلس أصحاب الدعة والرفاهية؛ لتمكن الجالس بهذه الهيئة من التقلب كيف شاء حتى إذا ملَّ جلسة انقلب لغيرها[٤]، كما أنها هيئة تختص بالفارغ الذي لا كلفة عليه ولا تكلف لديه، فإن من يكون عنده من يتكلف له يجلس له ولا يتكئ عنده، ومن يكون في مُهم لا يتفرغ للاتكاء[٥].

المطلب الثاني: أحوال المؤمنين في مجالس الجنة

وصف القرآن أحوال المؤمنين في مجالسهم في الجنة بما يدل على تمام النعيم، فهم في مجالسهم متقابلون، يدعون بالفاكهة والشراب، وتدنو منهم الظلال والثمار، ويتنازعون كأس الشراب، ويطوف عليهم الخدم، وهم في تلك الحال ينظرون إلى بعضهم، مستأنسين بإخوانهم، قد سلمت صدورهم من الغلّ، يتأملون النعيم، وينظرون إلى وجه ربهم تبارك وتعالى، قد زوجهم الله بالحور العين، وفيما يأتي تفصيل تلك الأحوال:

١. متقابلون

وقد ورد وصف التقابل في المجالس في أربعة مواضع في كتاب الله، وهي قوله تعالى:

(١) ينظر: تفسير السمعاني، ٤/ ٣٨٣.
(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، ٦/ ٤٠٩، ح(٤٤١٦)، والحديث صحيح، قال الألباني: "وبالجملة، فالحديث صحيح من بعض طرقه عن جابر". سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، ٣/ ٧٨، ح (١٠٨٧).
(٣) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٨/ ٢٠٧.
(٤) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٤/ ٥٦.
(٥) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٨/ ٢٠٧.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر:٤٧]، وقوله: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الصافات: ٤٤]، وقوله: ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ(٥٣) كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ(٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾ [الدخان: ٥٣ – ٥٥]، وقوله: ﴿مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ [الواقعة: ١٦].

وقد جاء في المراد بهذه الهيئة: أن التقابل هو كون الواحد قبالة غيره(١) ينظر إلى وجهه، ولا يستدبره فينظر في قفاه(٢).

والقول بأن التقابل هو كون الواحد قبالة غيره هو قول عامة المفسرين، وقد ذكر بعضهم في معناه أقوالاً أخرى، منها:

أ- أنهم متقابلون بالمحبة والمودة، لا يتفاضلون فيها ولا يختلفون.

ب- أنهم متقابلون في المنزلة لا يفضل بعضهم فيها على بعض؛ لاتفاقهم على الطاعة واستوائهم في الجزاء(٣).

ت- أنهم متقابلون قد أقبلت عليهم الأزواج وأقبلوا عليهم بالود(٤).

والظاهر الذي دل عليه اللفظ أنه التقابل في الوجوه(٥)، فإذا ما أضيف له وصف ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]، دل على تزاورهم واجتماعهم وحُسن أدبهم فيما بينهم في كون كل منهم مقابلاً للآخر لا مستدبرًا له(٦)، قال ابن عطية (ت: ٥٤٢هـ): "وقوله

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٤/ ٥٦.
(٢) ينظر: جامع البيان، الطبري، ١٧/ ١١٠، ومعاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ٥/ ١١٠، ومعالم التنزيل، البغوي، ٤/ ٣٨٣، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/ ٥٢٠.
(٣) ينظر: النكت والعيون، الماوردي، ٣/ ١٦٢.
(٤) ينظر: المرجع السابق، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٠/ ٣٣.
(٥) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ٣/ ٣٦٤.
(٦) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٤٣٢.

(متقابلين): وصف لمجالس أهل الجنة؛ لأن بعضهم لا يستدبر بعضًا في المجالس"[١].

والتقابل من تمام النعيم؛ لما فيه من الأنس بمشاهدة الأصحاب والحديث معهم[٢]، فالمؤمن حيثما التفت رأى وجهًا يحبه يقابله[٣]، وقيل: إن الأسرة تدور بهم كيفما شاءوا، فلا يرى أحد قفا أحد[٤].

٢. الأكل والشراب

جاء من أوصاف أهل الجنة في حال الاتكاء أنهم يدعون بالفاكهة والشراب، وذلك في قوله تعالى: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ[٥٦] لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [يس:٥٦-٥٧]، وقوله: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ [ص:٥١]، وقوله: ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ[٥٣] كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ[٥٤] يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾ [الدخان: ٥٣-٥٥]، وقوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ[١٩] مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور:١٩-٢٠]، فقد جمع الله لهم بين الاتكاء والتفكه والشراب في مشهد نعيم أبدي، قد تحصَّل لهم حُسن المنزل، وحُسن الطعام، وحُسن اللباس، وكمال العشرة بمقابلة بعضهم بعضًا، وتمام اللذة بالحور العين[٥]، وهم في تلك الحال آمنون على أكلهم من نفاده في بعض الأزمنة، ومن حصول مضرته[٦] كالتُّخَم والأسقام والآفات[٧].

(١) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ٥/ ٧٨.
(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٧/ ٢٩٣.
(٣) ينظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ٢/ ٥٣٦.
(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٠/ ٣٣.
(٥) ينظر: التفسير القيم، ابن القيم، ص٤٧١.
(٦) ينظر: جامع البيان، الطبري، ٢٢/ ٥٣، ومعالم التنزيل، البغوي، ٧/ ٢٣٧، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/ ٢٦١، وزاد المسير، ابن الجوزي، ٤/ ٩٥.
(٧) زاد المسير، ابن الجوزي، ٤/ ٩٥.

والأكل والشرب حال الاتكاء هي إكلة أهل الترف المعهود في الدنيا، فقد كان أهل الرفاهية يأكلون متكئين، وقد وصف القرآن ذلك في سورة يوسف بقوله: ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ [يوسف: ٣١]، أي: لحزّ الطعام والثمار(١).

٣. طواف الخدم

ورد طواف الولدان المخلدين على أهل الجنة بالشراب والطعام وخدمتهم لهم في سياق ذكر اتكائهم في مجالسهم في أربعة مواضع في القرآن، في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ(١٥) مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ(١٦) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ(١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ(١٨) لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ(١٩) وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ(٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة: ١٥-٢١]، حيث جاءت (يطوف) حالاً أخرى من (المقربين) أو استئناف(٢)، أي: إن من أحوالهم في تلك المجالس: الاتكاء على السرر وطواف الوالدان عليهم؛ لخدمتهم وقضاء حوائجهم، وقد فُسِّر قوله: (مخلدون) بأنهم:

أ- لا يموتون ولا يتغيرون.

ب- مُحلَّون بالحلي، مأخوذ من التخليد وهو التحلية(٣)، يقال: خلد جاريته إذا حلَّاها بالخلدة وهي القرط(٤)، فهم مقرطون بالخلدة، ومسورون بالأساور(٥).

والأول أرجح؛ لأنه الأظهر في كلام العرب؛ فالعرب تقول للرجل إذا كبر ولم يشمط:

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٧/ ٤٧.
(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ٨/ ١٩١.
(٣) ينظر: معاني القرآن، الفراء، ٣/ ١٢٣، وغريب القرآن، ابن قتيبة، ص٤٤٦، وجامع البيان، الطبري، ٢٣/ ١٠١، والنكت والعيون، الماوردي، ٥/ ٤٥٠، والمحرر الوجيز، ابن عطية، ٥٢٤١، وفتح القدير، الشوكاني، ٥/ ٤٢٣.
(٤) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٣/ ١٦٤، وتاج العروس، الزبيدي، ٨/ ٦٤، مادة (خلد).
(٥) ينظر: معاني القرآن، الفراء، ٣/ ١٢٣.

إنه لمخلد[١]، فهؤلاء الولدان صغار الأسنان، مخلوقون للبقاء، لا يهرمون ولا يتغيرون[٢].

وفي سياق آخر جاء ذكر طواف الخدم على أهل الجنة مباشرة بعد ذكر تقابلهم على السرر، في إشارة إلى أن من تمام نعيمهم في مجالسهم وجود الخدم المسخرين لهم، قال تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ(٤٤) يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الصافات:٤٤ –٤٥].

وفي موضع آخر قال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ(١٧) فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ(١٨) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(١٩) مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ(٢٠) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ(٢١) وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ(٢٢) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ(٢٣) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ(٢٤) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الطور:١٧-٢٥] أي: وفي حال الاتكاء يطوف عليهم ولدان مخلدون بالكأس والفواكه والطعام وغير ذلك[٣]، ومثله قوله تعالى: ﴿مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا(١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا(١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا (١٥) قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا(١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا(١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا (١٨) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان:١٣ – ١٩].

وفي سياق طواف الخدم على المؤمنين في المجالس دلائل لطيفة على تمام النعيم، منها:

أ- أن في استعمال لفظ (الطواف) دلالة على أن هذه الخدمة متكررة لا تنقطع؛ لأن الطواف

(١) ينظر: جامع البيان، الطبري، ٢٣/ ١٠١.
(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٨٣٣، وينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/ ٥٢٠.
(٣) ينظر: فتح القدير، الشوكاني، ٥/ ١١٨، وتفسير العثيمين: الحجرات – الحديد، ص ٣٣٣.

هو المشي المكرر حول شيء، وهو يقتضي الملازمة له[١]، كما أن فيه دلالة على أن مجالس أهل الجنة كالحِلَق دائرية؛ لأن الطواف هو: المشي باستدارة في الغالب، وهذا يتأكد مع وصف جلوسهم في المجالس بأنهم متقابلون.

ب- أن في وصف الولدان بالمخلدين إشارة إلى أنهم دائمون على الطواف عليهم وخدمتهم لا ينقطعون عن ذلك، كما أن فيه دلالة على أن أهل الجنة يألفون رؤيتهم[٢] ودوامهم معهم مع هذه الألفة زيادة في النعيم وكمال الراحة.

ت- أن في وصف الخدم بالغلمان إشارة إلى أنهم صغار، والصغار في العادة أكثر ما يُتخذ منهم الخدم؛ لعدم الكلفة في حركاتهم وعدم استثقال تكليفهم[٣].

ث- أن في تشبيه هؤلاء الخدم باللؤلؤ المكنون دلالة على مزيد حسنهم وصفاء ألوانهم ونضارة وجوههم[٤]؛ لأن اللؤلؤ إذا كان مصونًا في كنّ يكون أبيض نقيًا[٥]، كما أن في تشبيههم باللؤلؤ المنثور دلالة على انتثارهم في الخدمة، وسرعتهم فيها[٦].

٤. تنازع الشراب

لقد منح الله المؤمنين في الجنة لذة الخمر، والمنادمة في شربها مع جلسائهم؛ لأنها من أحسن اللذات فيما ألفته نفوسهم[٧] في مجالسهم، قال تعالى: ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ [الطور: ٢٣]، والتنازع يطلق على: التداول وعلى التعاطي، وأصله التجاذب في

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٧/ ٢٩٣.
(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٧/ ٢٩٣.
(٣) ينظر: المرجع السابق، ٢٧/ ٥٥.
(٤) ينظر: فتح القدير، الشوكاني، ٥/ ٤٢٣.
(٥) ينظر: جامع البيان، الطبري، ٢٢/ ٤٧٦.
(٦) ينظر: فتح القدير، الشوكاني، ٥/ ٤٢٣.
(٧) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٧/ ٥٢.

الأعيان والمعاني[١]، فأهل الجنة يتنازعون أي: يتعاطون كأس الشراب[٢] هم وجلساؤهم، ويتداولونه في مجالسهم[٣]، قال الزجاج (ت: ٣١١هـ): "يتعاطون فيها كأسًا، يُتَناول هذا الكأس من يد هذا وهذا من يد هذا"[٤]، والمعنى: أن بعضهم يصب لبعض الخمر ويناوله إيثارًا وكرامة، وقيل: تنازعهم الكأس مجاذبة بعضهم كأس بعض إلى نفسه للمداعبة[٥]، وهذا من كمال النعيم إذ تكتمل لذة تناول الخمر عند العرب بهذه الصفة.

٥. ينظرون

جاء من أوصاف أهل الجنة في حال الاتكاء أنهم (ينظرون) وذلك في موضعين في سورة المطففين في قوله تعالى: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين:٢٣-٣٥]، والمراد بالنظر في الموضع الأول أنهم ينظرون إلى ما أعطاهم الله من الكرامة والنعيم[٦]، أو ينظر بعضهم إلى بعض[٧]، أو المراد النظر إلى وجه الله تعالى[٨].

(١) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري، ٢/ ٨٥، ولسان العرب، ابن منظور، ٨/ ٣٥١، وتاج العروس، الزبيدي، ٢٢/ ٢٤٧، مادة (نزع).
(٢) ينظر: معالم التنزيل، البغوي، ٤/ ٢٩٣، والمحرر الوجيز، ابن عطية، ٥/ ١٩٠، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/ ٤٣٤، وفتح القدير، الشوكاني، ٥/ ١١٨.
(٣) ينظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة، ٢/ ٢٣٢، وجامع البيان، الطبري، ٢٢/ ٤٧٤، والهداية الى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، ١١/ ٧١٢٦.
(٤) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ٥/ ٦٣.
(٥) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٧/ ٥٢.
(٦) ينظر: جامع البيان، الطبري، ٢٤/ ٢٩٥، ومعالم التنزيل، البغوي، ٥/ ٢٢٦، والمحرر الوجيز، ابن عطية، ٥/ ٤٥٣، وزاد المسير، ابن الجوزي، ٤/ ٤١٦، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٩/ ٢٦٤، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٨/ ٣٥٢، وتيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٩١٦.
(٧) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ٥/ ٤٥٣.
(٨) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٩/ ٢٦٤، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٨/ ٣٥٢، وتيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٩١٦.

وفي الموضع الثاني من السورة هم ينظرون إلى عدوهم في النار كيف يعذَّب[١]، أو ينظرون إلى الله تعالى، في مقابلة من زعم فيهم أنهم ضالون، فهم ليسوا بضالين، بل هم من أولياء الله المقربين، ينظرون إلى ربهم في دار كرامته[٢].

٦. التزويج

جاء في سياق أحوال أهل الجنة في مجالسهم ذكر تزويجهم بالحور العين؛ لأن أهل الجنة لَمَّا اجتمع لهم من نعيم القلب والروح والبدن ما لا يخطر بالبال من المآكل والمشارب اللذيذة، والمجالس الحسنة الأنيقة، لم يبقَ إلا التمتع بالنساء اللاتي لا يتم سرورٌ بدونهن، فذكر الله أن لهم من الأزواج أكمل النساء أوصافًا وخَلقًا وأخلاقًا[٣]، وقد جاء ذلك في ثمانية مواضع من القرآن الكريم، في قوله: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور:٢٠]، حيث قرن القرآن بين وصف حال الاتكاء ووجود أزواجهم معهم، فجاءت جملة (وزوجناهم) معطوفة على (متكئين)[٤]، ويؤكد هذا قوله: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ[٥٥] هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾ [يس:٥٥-٥٦]، ففيه بيان كيفية شغلهم وتفكههم وتكميلها بما يزيدهم سرورًا وبهجة من كون أزواجهم معهم على هذه الصفة من الاتكاء على الأرائك[٥]، وقوله: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ [٥١] وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ [ص:٥١ -٥٢]، وقوله: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ[١٥] مُّتَّكِئِينَ

(١) ينظر: جامع البيان، الطبري، ٢٤/ ٣٠٤، ومعالم التنزيل، البغوي، ٥/ ٢٢٧، والمحرر الوجيز، ابن عطية، ٥/ ٤٥٤، وزاد المسير، ابن الجوزي، ٤/ ٤١٨.
(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٨/ ٣٥٤، وتيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٩١٦.
(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٨١٤.
(٤) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٧/ ٤٧.
(٥) ينظر: فتح القدير، الشوكاني، ٤/ ٤٣١.

عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ(١٦) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ(١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (١٨) لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ(١٩) وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ(٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ(٢١) وَحُورٌ عِينٌ(٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة:١٥-٢٣]، وقوله: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ(٣٤) إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً(٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا(٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة:٣٤- ٣٧]، وقوله: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ(٤٤) يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ(٤٥) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ(٤٦) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ(٤٧) وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ(٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٤ -٤٩]، وقد قرن الله بين وصف الاتكاء وذكر الأزواج والتمتع بهن في موضعين في سورة الرحمن، وقُدّم ذكر اتكائهم على ذكر نسائهم في الموضع الأول: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ(٥٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(55) فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن:٥٤-٥٦]، بينما أُخّر ذكر اتكائهم عن ذكر نسائهم في الموضع الثاني: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ(٧٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٧١) حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ(٧٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٧٣) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ(٧٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٧٥) مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن:٧٠-٧٦]، وفي هذا أن أهل الجنة لا يلحقهم التعب قبل قضاء الوطر ولا بعده، بل هم متكئون قبل الاجتماع بأهلهم وبعد الاجتماع كذلك، بخلاف أهل الدنيا(١).

٧. دنو الظلال والجنى

جاء في سياق ذكر أحوال أهل الجنة في مجالسهم أن ظلال الجنة تدنو منهم، وأنهم لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريرًا، أي: لا شمسًا يؤذيهم حرها ولا زمهريرًا يؤذيهم برده(٢)، قال

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٩/ ٣٨١.
(٢) ينظر: النكت والعيون، الماوردي، ٦/ ١٦٩، ومعالم التنزيل، البغوي، ٥/ ١٩٣.

تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾[١٣] وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: ١٣- ١٤]، وقال: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾ [يس:٥٦]، وكما تدنو الظلال فإن ثمر الجنة يدنو منهم وهم على فرشهم فمتى شاءوا اقتطفوا منه[١] على أي صفة كانوا[٢]، قال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤]، وقال: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤]، أي: لا تمنع ممن تناولها، بل تنحط إليه من أغصانه[٣]، قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ): "تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله إن شاء قائمًا وإن شاء قاعدًا"، وقال قتادة (ت: ١١٨هـ): "لا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك"[٤].

٨. الأخوة وسلامة الصدر

إن من جملة ما يُنعم الله به على أهل الجنة أن يُخرج ما في قلوبهم من الغلِّ وأسبابه حتى تصفو قلوبهم ويحصل الودّ[٥]، وقد جاء هذا الوصف في سياق كونهم على الأسرة متقابلين، قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧] فوصفوا في ذلك النعيم بحُسن العشرة، وتهذيب الأخلاق، وصفاء المودة[٦]، وأخوة الدين[٧].

والغِلُّ في اللغة: هو الغش والعداوة والضغن والحقد والحسد[٨]، وقال بعض المفسرين:

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٧/ ٢٦٩.
(٢) ينظر: جامع البيان، الطبري، ٢٣/ ٦٢، والنكت والعيون، الماوردي، ٥/ ٤٣٩.
(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/ ٥٠٤.
(٤) ينظر: معالم التنزيل، البغوي، ٤/ ٣٤١.
(٥) ينظر: فتح القدير، الشوكاني، ٢/ ٢٣٤.
(٦) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ٥/ ١١٠.
(٧) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ٣/ ٣٦٤.
(٨) ينظر: المحكم، ابن سيده، ٥/ ٣٦٧، ولسان العرب، ابن منظور، ١١/ ٤٩٩، وتاج العروس، الزبيدي، ٣٠/ ١١٤.

الغِلُّ هو الحقد والعداوة والضغينة[١]، وهو إن بقي في صدورهم كما كان في الدنيا لكان في ذلك تنغيص لنعيم الجنة؛ لأن المتشاحنين لا يطيب لأحدهم عيش مع وجود الآخر، وقيل: الغِلُّ هو الحسد فلا يحسد بعضهم بعضًا في تفاضل المنازل[٢]، قال السعدي (ت: ١٣٧٦هـ): "ويخلق الله لهم من الكرامة ما به يحصل لكل واحد منهم الغبطة والسرور، ويرى أنه لا فوق ما هو فيه من النعيم نعيم، فبهذا يأمنون من التحاسد والتباغض؛ لأنه قد فقدت أسبابه"[٣].

(١) ينظر: جامع البيان، الطبري، ١٢/ ٤٣٧، ١٧/ ١٠٧، والهداية الى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، ٦/ ٣٩٠٣، ومعالم التنزيل، البغوي، ٣/ ٦٠، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣/ ٤١٥.

(٢) ينظر: جامع البيان، الطبري، ١٢/ ٤٣٨، ومعالم التنزيل، البغوي، ٢/ ١٩٢، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣/ ٤١٥، وفتح القدير، الشوكاني، ٢/ ٢٣٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٢٨٩.

المبحث الثالث
سمات المنهج القرآني في وصفه مجالسَ أهل الجنة

عرض القرآن الكريم أنواع مجالس أهل الجنة، وأوصافها البليغة، التي يكمل معها تصور النعيم، ويقترب منها فهم المخاطبين.

وكما عرض القرآن أنواعَ تلك المجالس فقد بين أحوال المؤمنين فيها، وأنسهم ببعضهم وحديثهم ونعيمهم فيها في منهج قرآني فريد ووصف بديع مؤثر في النفوس، وقد برزت سمات هذا المنهج القرآني من خلال استعماله للفرائد القرآنية، ولما هو مألوف لدى المخاطبين في الدنيا، مع تركيز ذكر هذه المجالس في القرآن المكي في الغالب كعادته في التركيز على اليوم الآخر وأحوال المنعمين والمعذبين فيه.

المطلب الأول: استعمال الفرائد القرآنية

إن القرآن الكريم كلام الله العظيم قد تفرد في حروفه وكلماته وفي نسقه ونظمه، حاز من البلاغة والفصاحة ما يجعل كل حرف وكل كلمة لها وقعها ومعناها ووزنها العدل القويم، ولا يمكن أن يحل غيرها محلها، وقد نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، وجاء في ألفاظه فرائد لم ترد فيه إلا مرة واحدة في موضع معين؛ لأغراض وأسرار عظيمة، فجاءت بمنزلة الفريدة من العقد لا يحل غيرها محلها، وهذا نوع من الفصاحة أشار إليها العلماء المتقدمون كالسيوطي (ت: ٩١١هـ) حيث قال: "الفرائد مختص بالفصاحة دون البلاغة؛ لأنه الإتيان بلفظة تتنزل منزلة الفريدة من العقد- وهي الجوهرة التي لا نظير لها- تدل على عظم فصاحة هذا الكلام وقوة عارضته وجزالة منطقه وأصالة عربيته، بحيث لو أسقطت من الكلام عزت

على الفصحاء غرابتها، ومنه لفظ: (حصحص) في قوله: ﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ [يوسف:٥١]..."[١].

وعند استقراء مجالس أهل الجنة في القرآن فإنه يلاحظ فيها وجود فرائد لم ترد إلا مرة واحدة في القرآن الكريم، وهي: (رفرف) و (عبقري) في قوله: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦]، و(موضونة) في قوله: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ [الواقعة:١٥]، و(نمارق) و(زرابي) في قوله: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ[١٥]﴾ و ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية:١٥-١٦].

ولاستعمال تلك الفرائد في سياقاتها المختلفة أسرار تناسب مقام النعيم والامتنان على أهل الجنة بألوان التنعم.

فاستعمال (الرفرف) دون غيره من الألفاظ للدلالة على معان عدة يدل عليها الاستعمال اللغوي له، فقد ذكر المفسرون في معنى الرفرف: إنها رياض الجنة، وقيل: إنها فضول المحابس والبسط وهو ما يتدلى منها، وقيل: إنها المرافق والوسائد[٢].

وهذه المعاني دل عليها لفظ (الرفرف) ولا يوجد لفظ يؤديها أنسب منه؛ لأن الرفرف إما أن يكون أصله من رفَّ الزرع إذا بلغ من نضارته فيكون مناسبًا لمعنى (رياض الجنة)، ويكون التقدير: أنهم متكئون على الرياض والثياب العبقرية[٣]، وإما أن يكون أصله من الارتفاع والانتشار، يُقال: رَفَّ الطائر إذا ارتفع في الهواء، ورفرف بجناحيه إذا نشرهما

(١) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٣/ ٣١٩.

(٢) ينظر: جامع البيان، الطبري، ٢٣/ ٨٣-٨٤، والنكت والعيون، الماوردي، ٥/ ٤٤٣، وزاد المسير، ابن الجوزي، ٤/ ٢١٧، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/ ٥٠٩.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٩/ ٣٨١.

للطيران[١]، فيكون المعنى أنهم على بسط مرفوعة واسعة ممتدة منتشرة، كما قال تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤][٢].

وإما أن يكون أصله من الحركة، فإن الرفرفة: هي تحريك الطائر جناحه في الهواء وهو لا يبرح مكانه[٣]، وكذلك هي المحابس في الجنة فضولها تتدلى[٤] وتتحرك وتهتز.

واستعمال لفظ (العبقري) يدل على أن تلك البسط الفاخرة عجيبة الصنعة، متفردة الحبكة، حتى فاقت ما هو مألوف عند البشر؛ لأن عبقري نسبة إلى عبقر وهي أرض كثيرة الجن، ولما كان عبقر معروفًا بسكناهم نسبوا إليها كل شيء يبالغ فيه وكأنه من عمل الجن وصنعهم[٥].

وفي الجنة تكون لتلك البسط صفة خاصة فهي من أجود البسط، مصنوعة من الديباج، ثخينة في حشوها، ناعمة في ملمسها، وصفتها لا تخطر على قلب بشر.

ولفظ (موضونة) متفرد في الدلالة على معنى الراحة ونفاسة الصنع ومتانته؛ لأن الوَضْن هو: التشبيك والنسْج، فهي سُرُر منسوجة بتركيب بعض أجزائها على بعض كما توضن حلق الدرع بعضها في بعض[٦]، مشبكة في بعضها بالذهب والجوهر[٧]، والسرر

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ١٨/ ٣٦٢.
(٢) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٩/ ٣٨١.
(٣) ينظر: العين، الخليل، ٨/ ٢٥٥، وتهذيب اللغة، الأزهري، ١٥/ ١٢٣.
(٤) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ١٨/ ٣٦١.
(٥) ينظر: حادي الأرواح، ابن القيم، ص٣٠٠.
(٦) ينظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة، ٢/ ٢٤٨، وغريب القرآن، ابن قتيبة، ص٤٤٦، وجامع البيان، الطبري، ٢٣/ ٩٨-١٠٠، والنكت والعيون، الماوردي، ٥/ ٤٥٠.
(٧) ينظر: جامع البيان، الطبري، ٢٣/ ٩٨-١٠٠، والنكت والعيون، الماوردي، ٥/ ٤٥٠.

الموضونة هي أوثر السرر[١]؛ لأن وَضْن سطوحها يجعل ما يوضع عليها من المفارش وثيرًا فلا يؤلم المضطجع ولا الجالس[٢].

واستعمال (النمارق) يُشعر بجمال المجالس وبأن الوسائد وثيرة متراصة بينها كالفتوق تشبه السحاب الذي بينه خلوص، وهو مظهر من مظاهر الجمال والترف والراحة، فقد جاء في اللغة أن "النِّمرقة بالكسر من السحاب: ما كان بينه خلوص، أي: فتوق"[٣]، كما أن استعمال هذه الفريدة القرآنية يناسب لغة قريش الذين نزل القرآن بلسانهم؛ لأن النمرقة هي: الوسادة بلغة قريش[٤].

أما استعمال لفظ (الزرابي) فإنه فريد في الدلالة على البسط الفاخرة الملونة[٥]، ولا يوجد لفظ يمكن أن يقوم مقامه؛ لأن الأصل اللغوي للزرابي مأخوذ من التلون، حيث يقال: أَزْرَب البقلُ: إذا بدا فيه اليبس فتلون بخضرة وصفرة[٦]، فشُبِّهت الألوان في البسط والفرش بزرابي النبت[٧].

المطلب الثاني: تصوير مجالس أهل الجنة بما هو مألوف في الدنيا

عند النظر في أوصاف مجالس أهل الجنة فإنه يُلاحظ أن أقوال المفسرين فيها جاءت قريبة من أقوال أهل اللغة؛ وفي ذلك دلالة على تمام النعيم والنعمة في أن القرآن خاطبهم

(١) ينظر: جامع البيان، الطبري، ٢٣/ ١٠٠.
(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٧/ ٢٩٣.
(٣) تاج العروس، الزبيدي، ٢٦/ ٤٣٩.
(٤) ينظر: تفسير مقاتل، ٤/ ٦٧٩، واللغات في القرآن، ابن حسنون، ص٥٤.
(٥) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٣٠/ ٣٠٢. وينظر: جامع البيان، الطبري، ٢٤/ ٣٨٧، ومعالم التنزيل، البغوي، ٥/ ٢٤٦، ومفاتيح الغيب، الرازي، ٣١/ ١٤٣، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٠/ ٣٤.
(٦) ينظر: المحكم، ابن سيده، ٩/ ٣٢.
(٧) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري، ١٣/ ١٣٧، ولسان العرب، ابن منظور، ١/ ٤٤٧.

في هذا النعيم بما يعرفون في أصل لغتهم وما كانوا يستعملونه فيها، فجاءت أوصاف تلك المجالس على ما يألفون ويعرفون في الدنيا، لأن ذلك يجعلهم يدركونه في صورة أقرب إلى أذهانهم.

وقد وُعد المؤمنون بأن لهم في الجنة ما يعرفون أسماءه من نعيم الدنيا، وعلموا أن نعيم الجنة لا يبلغه الوصف بالكلام، ولكن الأرواح ترتاح بمألوفاتها فتُعطاها، فيكون نعيم أرواح الناس في كل عصر ومن كل مصر في الدرجة القصوى مما ألفوه ولا سيما ما هو مألوف لجميع أهل الحضارة والترف وكانوا يتمنونه في الدنيا، ثم يزادون من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر(١).

المطلب الثالث: ورود غالب وصف مجالس أهل الجنة في القرآن المكي

ورد وصف مجالس أهل الجنة في ثلاث عشرة سورة، منها عشر سور مكية باتفاق(٢)، وثلاث سور مختلف فيها(٣)، ويظهر بذلك أن وصف المجالس قد جاء غالبه في القرآن المكي، متَّسمًا بقصر الآيات مع قوة وقع الألفاظ، وإيجاز العبارة مع بلاغة المعنى(٤)، وهذا ملائم لأهل الخطاب في مكة فهم "يمتازون بعلو كعبهم في الفصاحة والبلاغة، وتملكهم لناصية القول والخطابة والشعر، وبلوغهم الغاية في لطف الحس وذكاء العقل"(٥)، فكان المناسب لهم الأوصاف الموجزة بليغة المعنى.

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٣٠/ ٣٠٣.
(٢) وهي الحجر والكهف ويس والصافات وص والزخرف والدخان والطور والواقعة والغاشية.
(٣) وهي الرحمن والإنسان والمطففين، وقد رجحوا مكية سورة الرحمن والإنسان، ومدنية سورة المطففين. ينظر: المكي والمدني من السور والآيات، محمد الفالح، ص٣٦٤، ٤٧٧، ٥٠٩.
(٤) ينظر: دراسات في علوم القرآن، فهد الرومي، ص١٣٢.
(٥) المدخل لدراسة القرآن الكريم، أبو شهبة ، ص٢٢٩.

وهذا الأسلوب المتنوع الموجز البليغ يسترعي انتباه أهل الخطاب المكي؛ لأن فطرتهم اللغوية تغلبهم فيلقون إليه بأسماعهم وقلوبهم، خاصة في الحديث عن المجالس التي تحبها وتألفها نفوسهم، وبأوصاف معهودة لديهم، وقد عُرفت منزلة المجالس عامة عند العرب، فجاء القرآن بأعظم ما يجدون من صفة المجالس، وأعجبها، وأتمّها حسنًا.

كما أن هذه الأوصاف الجزلة المتنوعة في هذه السور المكية على اختلاف مواضعها، تُؤسس لعقيدة الإيمان باليوم الآخر وما اشتمل عليه من أوصاف غيبية، كما هو معروف من سمات القرآن المكي الذي يؤسس للعقيدة الإسلامية في النفوس[1].

(١) ينظر: دراسات في علوم القرآن، فهد الرومي، ص١٣١.

الخاتمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد: فإن من أبرز نتائج البحث ما يأتي:

١. ذكر القرآن من أنواع مجالس أهل الجنة: الفرش، والسرر، والرفرف، والبسط، والنمارق، والأرائك، ولكل منها أوصافه الدالة على تمام النعيم.

٢. ورد وصف مجالس أهل الجنة في ثلاث عشرة سورة، منها: عشر سور مكية باتفاق، وثلاث سور مختلف فيها.

٣. يصف القرآن هيئة جلوس أهل الجنة بالاتكاء وهو لفظ مخصوص دون غيره من الألفاظ التي تُشعر بهيئات النوم؛ لأن أهل الجنة لا ينامون.

٤. من سمات منهج القرآن في وصف مجالس أهل الجنة: استعمال الفرائد القرآنية وهي (رفرف، وعبقري، وموضونة، ونمارق، وزرابي)، وتصوير تلك المجالس بما هو مألوف في الدنيا، ومجيء غالب تلك الأوصاف في القرآن المكي، متَّسمًا بالإيجاز والبلاغة، مناسبًا أهلَ الخطاب المكي.

٥. جاء في وصف حال المؤمنين في مجالسهم ثمان هيئات دالة على النعيم، فهم في مجالسهم: متقابلون، يدعون بالفاكهة، ويتنازعون كأس الشراب، وتدنو منهم الظلال والثمار، ويطوف عليهم الخدم، وينظرون إلى بعضهم مستأنسين بإخوانهم، قد سلمت صدورهم من الغل، يتأملون النعيم وينظرون إلى وجه ربهم تبارك وتعالى، قد زوجهم الله بالحور العين.

٦. أن مجالس أهل الجنة كالحِلَق دائرية؛ لأنهم متقابلون في المجالس لا يستدبر بعضهم بعضًا، ويؤكد ذلك استعمال لفظ (الطواف) في سياق طواف الخدم عليهم، وهو المشي باستدارة في الغالب.

٧. جاءت غالب أقوال المفسرين في أنواع وأوصاف مجالس أهل الجنة قريبة من أقوال أهل اللغة؛ في دلالة على تمام النعيم والنعمة حين القرآن خاطبهم بما هو معروف في لغتهم.

٨. تفرد لفظ العبقري في الدلالة على أن بسط الجنة عجيبة الصنع حتى فاقت ما هو مألوف عند البشر؛ لأن عبقر أرض كثيرة الجن.

٩. دلّ استعمال الوضن وهو: التشبيك والنسْج في وصف السرر على معنيين: أنها أوثر السرر، وأنها أنفسها وأمتنها صنعًا.

١٠. تفرد لفظ الزرابي في الدلالة على أن البسط ملونة؛ لأن الأصل اللغوي للزرابي مأخوذ من التلون.

المصادر والمراجع

إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، محمد، (د.ط)، بيروت، دار إحياء التراث، (د.ت).

أساس البلاغة، الزمخشري، محمود، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، عبد الله، تحقيق: محمد المرعشلي، ط١، بيروت، دار إحياء التراث، ١٤١٨هـ.

تفسير السمرقندي، السمرقندي، نصر، تحقيق: علي معوض، (د.ط)، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت).

بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادى، محمد، تحقيق: محمد النجار، (د.ط)، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، (د.ت).

تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، محمّد، مجموعة من المحققين، (د.ط)، (د.م)، دار الهداية، (د.ت).

التبيان في تفسير غريب القرآن، ابن الهائم، أحمد، تحقيق: ضاحي محمد، ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٣هـ.

التحرير والتنوير، ابن عاشور، محمد، (د.ط)، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ.

التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، القرطبي، محمد، ط١، الرياض، دار المنهاج، ١٤٢٥هـ.

تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، الصفدي، صلاح الدين، ط١، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٠٧هـ.

تفسير العثيمين (الحجرات – الحديد)، العثيمين، محمد، ط١، الرياض، دار الثريا، ١٤٢٥هـ.

تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، إسماعيل، تحقيق: محمد شمس الدين، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ.

تفسير القرآن، السمعاني، منصور، تحقيق: ياسر إبراهيم، ط١، الرياض، دار الوطن، ١٤١٨هـ.

التفسير القيم، ابن القيم، محمد، ط١، بيروت، مكتبة الهلال، ١٤١٠هـ.

التفسير الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، علي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

تفسير مجاهد، المكي، مجاهد، تحقيق: محمد أبو النيل، ط١، مصر، دار الفكر الإسلامي، ١٤١٠هـ.

تفسير مقاتل بن سليمان، البلخي، مقاتل، تحقيق: عبد الله شحاته، ط١، بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٢٣هـ.

تهذيب اللغة، الأزهري، محمد، تحقيق: محمد عوض، ط١، بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٢٢هـ.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، عبد الرحمن، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، ط١، لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.

جامع البيان عن تأويل القرآن، الطبري، محمد، تحقيق: أحمد شاكر، ط١، لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.

الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، البخاري، محمد،

تحقيق: محمد الناصر، ط١، (د.م)، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمد، مجموعة من المحققين، ط٢، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ.

جمهرة اللغة، ابن دريد، محمد، تحقيق: رمزي بعلبكي، ط١، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.

الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، عبد الرحمن، ط١، بيروت، دار إحياء التراث، ١٤١٨هـ.

حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن القيم، محمد، (د.ط)، القاهرة، مطبعة المدني، (د.ت).

دراسات في علوم القرآن الكريم، الرومي، فهد، ط١٢، (د.م)، (د.ن)، ١٤٢٤هـ.

ديوان ذي الرمة شرح الخطيب التبريزي، ط٢، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٠هـ.

ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق: علي فاعور، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨ه.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، محمود، تحقيق: علي عطية، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، عبد الرحمن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٢٢ه.

سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، محمد، ط١، الرياض، مكتبة المعارف، ١٤١٥هـ.

شعب الإيمان، البيهقي، أحمد، تحقيق: عبد العلي حامد، ط١، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ.

الصحاح، الجوهري، إسماعيل، تحقيق: أحمد عطار، ط٤، بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ.

العين، الفراهيدي، الخليل، (د.ط)، لبنان، مكتبة الهلال، (د.ت).

غريب القرآن: ابن قتيبة، عبد الله، تحقيق: أحمد صقر، (د.ط)، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ.

غريب القرآن: السجستاني، محمد، تحقيق: محمد جمران، ط١، سوريا، دار قتيبة، ١٤١٦هـ.

فتح البيان في مقاصد القرآن، القنوجي، محمد، (د.ط)، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤١٢هـ.

فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني، محمد، ط١، دمشق، دار ابن كثير، ١٤١٤هـ.

فقه اللغة وسر العربية، الثعالبي، عبد الملك، ط١، بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٢٢هـ.

القاموس المحيط، الفيروزآبادى، محمد، ط٨، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، محمود، ط٣، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، أحمد، ط١، بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٢٢هـ.

اللباب في علوم الكتاب، النعماني، عمر، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ.

لسان العرب، ابن منظور، محمد، ط٣، بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ.

اللغات في القرآن، ابن حسنون، عبد الله، تحقيق: صلاح الدين المنجد، ط١، القاهرة، مطبعة الرسالة، ١٣٦٥هـ.

مجاز القرآن، أبو عبيدة، معمر، تحقيق: محمد سزكين، (د.ط)، القاهرة، مكتبة الخانجى، ١٣٨١هـ.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، عبد الحق، تحقيق: عبد السلام عبدالشافي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.

المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، علي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ.

مختار الصحاح، الرازي، محمد، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط٥، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٠هـ.

المدخل لدراسة القرآن الكريم، أبو شهبة، محمد، ط٢، القاهرة، مكتبه السنة، ١٤٢٣هـ.

معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، الحسين، ط٤، (د.م)، دار طيبة، ١٤١٧هـ.

معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، إبراهيم، تحقيق: عبد الجليل شلبي، ط١، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨هـ.

معاني القرآن، الفراء، يحيى، مجموعة من المحققين، ط١، مصر، دار المصرية، (د.ت).

معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، عبد الرحمن، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ.

معجم أسماء الأشياء، اللَّبَابِيدي، أحمد، د.ط، القاهرة، دار الفضيلة، (د.ت).

مفاتيح الغيب، الرازي، محمد، ط٣، بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ.

المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، الحسين، تحقيق: صفوان الداوودي، ط١، دمشق، دار القلم، ١٤١٢هـ.

مقاييس اللغة، فارس، أحمد، تحقيق: عبد السلام هارون، (د.ط)، دمشق، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

المكي والمدني من السور والآيات، الفالح، محمد، ط١، (د.م)، (د.ن)، ١٤٣٣هـ.

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، إبراهيم، (د.ط)، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، (د.ت).

النكت والعيون، الماوردي، علي، تحقيق: السيد عبد المقصود، (د.ط)، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت).

النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، المبارك، (د.ط)، بيروت، المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ.

نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، الحكيم الترمذي، محمد، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، (د.ط)، بيروت، دار الجيل، (د.ت).

الهداية إلى بلوغ النهاية، القيسي، مكي، ط١، الإمارات، جامعة الشارقة، ١٤٢٩هـ.